التغيير الثقافي أولاً

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

حسن موسى الصفار

التغيير الثقافي أولاً

مقدمة الناشر

الواقع المتخلف الذي كانت تعيشه الأمة الإسلامية وما زال القسم الكبر منها يعيشه إنما سببه الرئيسي التخلف الثقافي المطبق عليها، ولكن مهما كانت أسباب ومسببات هذا التخلف. فمن الواجب على كل قائد أو مصلح يهدف إلى انتشال أمته من واقعها المتخلف هذا، عليه أن يبدأ مساره بتغيير الأمة ثقافياً، وتبديل مفاهيمها ومعتقداتها الخاطئة، وهذا ما كان يتبعه الرسل والأنبياء (صلوات الله عليهم) في تبليغهم رسالات السماء وهذا ما سار عليه الأئمة عليهم السلام من بعدهم في حفاظهم على هذه الرسالات.

فالثورة الهادفة إلى إصلاح الأئمة سياسياً واجتماعياً إذا لم يسبقها ثورة ثقافية تصحح مسار الأمة العقيدي والفكري ثورة فاشلة.

التغير الثقافي أولاً

يتبنى هذا الكتاب توضيح دور التغيير الثقافي في تحرير الأمة الاسمية من واقعها المتخلف الذي يظهر ضعفها ويغري دول العالم المستعمرة إلى السعي لاستعبادها وإذلالها وتسييرها وفقا لمشتهياته ورغباته. إذن فلا بد من التغيير الثقافي أولاً.

مؤسسة الوفاء، بيروت ـ لبنان

١٨/ ١/ ١٤٠٤هـ

١٣/ ١٠/ ١٩٨٤م.

لماذا التخلف؟

هنـاك سـؤال ملحّ يطرح نفسـه على ذهـن كل مسـلمٍ واعٍ وهو: **لمـاذا تعيـش أمتنا هـذا التخلـف العميق في جميـع الحقول؟**

فـكل القـوى العدوانيـة فـي العالـم تـرى فينـا مرتعًـا خصبًـا لممارسـة عدوانهـا وسياسـتها الاسـتعمارية..

فإسـرائيل تشـرد منـا شـعبًا كامـلاً مـن ديـاره وتحتـل أراضيـه ومقدسـاتنا منـذ ربـع قـرن!

والاتحـاد السـوفيتي يرسـل قواته ودباباتـه بكل وقاحـة لترابط فـي ارض أفغانسـتان وتطحـن بعجلاتهـا أجسـاد وأشـلاء إخواننا المسـلمين هنـاك! هذا عدى السـتين مليون مسـلم الذين يعيشـون إرهـاب الشـيوعية وجحيمها منـذ نصف قـرن تقريباً.

والعميـل الأمريكـي (ماركـوس) يمـارس المذابـح الجماعيـة للمسـلمين الثائريـن فـي الفلبين!

وفـي اريتريا يئن شـعب كامل تحت وطأة الإرهاب الفاشسـتي الماركسي!

وفـي الخليـج والجزيـرة العربية تسـرح أمريـكا وتمـرح: تقيم القواعد العسـكرية، وتحشـد الأسـاطيل الحربية، وتمتص ثروات شـعوبنا المستضعفة!

هـذا فـي جانـب وفـي جانـب آخـر: تعيـش أمتنـا تمزقًـا عنيفًا بمختلـف الأسـماء والعناوين باسـم القومية، الطائفيـة، الإقليمية، الحزبية.

وتفتقـد كل شـعوبنا أدنـى قـدر من الحريـة والاسـتقلال حيث تخضـع لحكومـات عميلـة فرضـت عليهـا بالقـوة والإرهـاب فالإعدامـات والسـجون والتشـريد والقمـع هـي سـمة الحيـاة اليوميـة لـكل الشـعوب المسـلمة!

ورغـم الثـروات الضخمـة الهائلـة التـي نمتلكهـا إلا أننا نعيش فقـرا مدقعا نسـتجدي فيـه لقمة الخبـز وحبة الـدواء وقطعة اللحم وكسـوة الجسـم وكل مقومـات الحيـاة وحاجياتها نسـتجديها من الآخرين!

إننـا نعيـش صفـراً إلـى شـمال هـذا العالـم فـي كل الجوانـب والحقـول!

فلماذا هذا الواقع المتردي المتخلف الذي نعيشه؟

ويكـون السـؤال أكثـر إلحاحـاً حينمـا نعتبـر أنفسـنا مسـلمين ننتمـي إلـى ديـن المفروض فيـه أنه يسـعد أبنـاءه ويسـمو بهم في طريـق التقـدم والازدهـار، فكيـف نعيـش هـذا الواقـع المتخلف ونحـن أبنـاء هـذا الإسـلام، والمنتمـون إليه؟

الاستعمار سبب أم مظهر؟

كثيـراً مـا يتسـرع البعـض فـي الإجابـة ليتخلـص مـن قسـوة السـؤال فيقـول: إن السـبب الحقيقـي لتخلفنـا وانحطاطنـا هـو تسـلط الاسـتعمار وعدوانـه علينـا، فتخلفنـا وليـد الاسـتعمار والعـدوان الـذي تمارسـه ضدنـا القـوى الكبـرى والعدوانيـة!!

ولكـن هـذا الجـواب فيـه الكثيـر مـن التسـرع فتسـلط الأعداء علينـا ليس سـبباً للتخلـف وإنما هو مظهـر من مظاهـره.. فالقوى الاسـتعمارية تبحـث دائمـاً عـن فريسـة تمتـص دمها فلمـاذا رأت فينـا نحن تلم الفريسـة المنشـودة؟ ولماذا اسـتطاعت أن تفترسـنا بالفعـل لـو لم نكـن ضعفـاء أمامها؟

القـوي مـن طبيعتـه العـدوان ولكـن ليس علـى قوي مثلـه فقد يفشـل في اعتدائـه وإنما يبحث عن جهـة ضعيفة يمـارس اعتداءه عليهـا فلمـاذا كنا نحـن تلك الجهـة الضعيفـة التي ينـزو عليها أي معتـد طامع؟

هنـاك أمـم كثيـرة تعرضـت للاسـتعمار والعـدوان ولكنهـا لم تـرزح تحـت نيـره طويـلاً بـل واصلـت النضـال والمقاومـة حتى اسـتعادت حريتهـا واسـتقلالها.. واقرب مثـل لنا أعداؤنـا الألداء الصهاينـة الذيـن كانـوا منبوذيـن في العالـم يتتبعهـم (هتلر) تحت كل حجـر ومـدر! ولكـن كيف هـو وضعهـم الآن؟ إنهم يسـيرون السياسـة الأمريكيـة ويخضـع لهـم الاتحـاد السـوفيتي فيمدهـم بالأدمغـة والخبـرات اليهوديـة المقيمـة فـي روسـيا! ويضغطـون علـى أوروبـا لتؤيـد سياسـتهم العدوانيـة! ويحتلـون مقدسـات الأمـة الإسـلامية! ويتحـدون العالم كلـه! فكيف اسـتطاعوا ذلك بعـد أن كانـوا منبوذيـن مقهوريـن مطاردين؟

وهـذه اليابـان بعـد أن حطمتهـا القنابـل الذريـة الأمريكيـة تسـتعيد ومنـذ زمـن قوتهـا وقدرتهـا وتبني كيانهـا بسـرعة هائلة.. بحيـث أصبحت تنافـس أمريكا صناعيـا حتى ارتفعـت الأصوات فـي داخل أمريـكا تحذر مـن تأثيـر البضائـع اليابانية على السـوق الأمريكية نفسـها.

هـل سـمعتم تلـك القصـة الأسـطورية الرمزيـة التي تقـول: أن رجـلاً كان يمتطـي حماره وأثناء الطريق رفع الحمار رأسـه ليسـال صاحبـه: بـأي حـق تمتطينـي؟ أو لسـت أنـا مثلـك مخلوقـا لله؟ فأجابـه فـوراً: أنـا أمتطيك لأنـك حمار!

هكـذا إنمـا يتسـلط علينـا الاسـتعمار، ويتكالـب الأعـداء وينجحـون فـي تسـلطهم لأننـا نعاني من طبيعـة معينـة تتقبل ذلك الاسـتعمار والاعتـداء أو كما يقـول المفكر الإسـلامي الجزائري المرحـوم (مالـك بـن نبـي): إننـا نمتلـك (القابلية للاسـتعمار).

إذاً فليـس الاسـتعمار والعـدوان سـبباً حقيقيـاً لتخلفنـا بـل أن تخلفنـا هـو السـبب الـذي أغـرى الاسـتعمار بالتسـلط علينـا.

أين القيادات المخلصة الكفؤة؟

وينبـري بعـض لآخر ليجيـب على السـؤال الملح: لمـاذا نحن متخلفـون؟ بـأن العلـة تكمـن فـي عـدم توفـر القـادة المخلصين الأكفـاء. وخاصة بعد انتصار الثورة الإسـلامية فـي إيران: وتجلي شـخصية الإمـام الخميني كقيـادة مخلصـة حكيمة كان لهـا الدور الأكبـر فـي تحقيق النصـر، صار أكثـر الناس في مختلـف المناطق يـرددون: لـو كان لنـا قائد مثـل الخميني لتحركنـا وتقدمنا!

ولكـن هـذا التفكيـر هـو الآخـر ينطـوي علـى مغالطـة دقيقـة: فعـدم توفـر القادة المخلصين ليس هو السـبب الرئيسـي لمشـكلة التخلـف التـي نعيشـها وإنمـا هـو أيضًـا أحـد مظاهـر المشـكلة. فلمـاذا فـي أمتنا الكبيـرة العريضـة لا يتوفر قادة أكفـاء مخلصون؟ لمـاذا (الخمينـي) وحـده ظاهـرة تسـتحق الدهشـة والإعجـاب؟ لمـاذا لـم يكـن كل قادتنـا كالخميني؟ ولمـاذا ليس في كل شـعب

بـل فـي كل منطقـة خميني؟

إن عدم توفر القادة المخلصين الأكفاء يعود إلى أحد شيئين:

١. إمـا أن تكـون أمتنا والأجـواء التي تعيشـها غير قـادرة على إنتـاج القـادة المخلصين الكفوئيـن! إذ أن القادة لا يهبطون مـن السـماء، ولا ينبتون كحشـائش الصحـراء في الأرض، وإنمـا ينبثقون مـن واقع الأمة وينشـأون مـن أجوائها.

٢. وإمـا أن هنـاك قـادة مخلصيـن فـي أوسـاط الأمـة، بيـد أن الأمـة لا تتجـاوب معهـم أو لا تفسـح لهـم مجـال القيـادة والتحـرك! ألـم يكن الأئمـة المعصومـون من آل الرسـول (صلـى الله عليـه وعليهـم أجمعين) مـن أفضل خلـق الله كفـاءة وفضـلاً؟ فلمـاذا لـم تلتـف الأمـة حولهـم وتلقـي إليهـم بزمـام القيادة؟

لا بـد وأن هناك أسـباباً معينة تجعل الأمة غر مسـتجيبة لقيادتها المخلصة. فما هي تلك الأسـباب؟

إن تجاوب الشـعب المسـلم في إيـران بمختلف فئاتـه وطبقاته وقطاعاتـه هـو الـذي أكسـب شـخصية الإمـام الخمينـي هـذه الدهشـة والإكبـار في أنظـار العالـم وان امتثال الشـعب لتعليمات الإمـام يـوم كان يعيـش فـي المنفـى علـى بعـد مئـات الآلاف من الكيلومتـرات هـو الـذي مكن الإمـام الخميني مـن صناعة معجزة

الثـورة الإسـلامية.. أليـس كذلك؟ فكيف توفر للشـعب المسـلم فـي إيـران هـذا القائد؟

ثـم كيف اكتشـف الشـعب قائـده الحقيقـي والتـف حوله رغم كل المحـاولات المعاديـة والمؤامـرات التـي حيكـت ولا تـزال تحـاك للفصـل بيـن الشـعب والقائد؟

إذاً فوجـود القائـد الكـفـء جانـب مـن القضيـة أمـا الجانـب الآخـر فهـو تجـاوب الشـعب والتفافه حـول هـذا القائد، وسـواء كانـت المشـكلة فـي احـد الجانبيـن أو فـي كليهمـا معـاً، فإنهـا ليسـت السـبب الحقيقـي للتخلـف وإنمـا هـي مظهر مـن مظاهره فالأمـة المتخلفـة هي التـي لا تنجب القائد الكـفـء أو لا تتجاوب معـه، فأيـن يكـون سـبب تخلفها؟

الثقافة المتخلفة سبب الانحطاط

لـو اسـتعرضنا كل الإجابـات التـي يتداولهـا كثيـر مـن النـاس علـى هـذا السـؤال الملـح: (لماذا نحـن متخلفـون)؟ لمـا وجدنا إلا جوابًـا واحـدًا يتضمـن الحقيقـة ويكشـف سـر التخلـف والانحطـاط.

ذلـك الجـواب هـو: أن سـبب التخلـف الشـامل الذي نعيشـه إنمـا هو تخلفنـا الثقافـي أو أمراضنا الثقافيـة، فبينما تعطـي الثقافة السـليمة للإنسـان منظـاراً صافيـاً ينظر به قضايـا الحيـاة وأحداثها وتشـق أمامـه طريـق التحـرك والنشـاط، وتدفعـه للتغييـر والتقدم نحـو الأفضـل.. وتقـوم الثقافـة المتخلفـة بدور معاكس فتشـوش الرؤيـا أمـام بصيـرة الإنسـان، وتفقـده إرادة التحـرك والنشـاط، وتسـلب منـه الرغبـة فـي التغييـر والتقـدم.. وهـي بالتالي تسـبب التخلـف فـي كل المجـالات أو تحافـظ عليـه وتسـمح بنمـوه واسـتمراره.

التغير الثقافي أولاً

(إن الثقافة هي أساس كل سعادات أو مصائب الشعب فإذا كانت الثقافة غير صالحة فإن الشباب الذين يربون في محيط هذه الثقافة سيصبحون مفسدين)[1].

ولكن ماذا نقصد بالثقافة والثقافة المتخلفة؟

إن المقصود بالثقافة هي تلك الأفكار والمعارف التي تصوغ نفسية الإنسان وتوجه سلوكه، وبذلك فهي لا تشمل كل العلوم فالجغرافيا وعلوم الفلك والرياضيات ليست ثقافة لأنها لا تغير شيئًا من نفسية الإنسان، ولا ترتبط بسلوكه بينما تعتبر فلسفة الحياة وفلسفة التاريخ وفلسفة الاجتماع ثقافة.. لأنها تتصل بنفس الإنسان وترتبط بسلوكه وتعطي صاحبها رؤى ينظر من خلها إلى الحياة.

وقد كانت أمتنا الإسلامية تمتلك بفضل الإسلام أفضل ثقافة سليمة تصوغ نفس الإنسان أو حسب تعبير القرآن تزكي نفس الإنسان من كل الشوائب والرواسب التي تعيقه عن التقدم والتكامل.. ولكن أمتنا ولعدة ظروف وعوامل تخلت عن تلك الثقافة الإلهية السليمة شيئًا فشيئاً، وبدأت تنسج من الأوهام والخرافات والجهل ثقافة بديلة تتسم بالرجعية والسلبية والتخلف!!

---

(١) من كلمات الإمام الخميني حفظه الله.

كيف حدث ذلك؟

بعد وفاة الرسول الأعظم ﷺ بفترة وجيزة حدثت بعض الانحرافات الخطيرة في حياة الأمة، كان من أخطرها وصول قوى انتهازية غير كفوءة إلى سدة الخلافة والحكم.. وبدلاً من أن تهب جماهير الأمة لمقاومة هذا الانحراف الخطير في مسيرتها أخذت (الأغلبية) تبرر هذا الانحراف بمبررات فلسفية وشرعية مختلفة، لتلقي عن كاهلها عبء مسؤولية المواجهة والصراع!!

وكانت القوى المتسلطة (كالأمويين والعباسيين) تعمل لتعميق هذا الاتجاه وتكريسه في نفوس أبناء الأمة بمختلف الوسائل والأساليب.

ورغم أن العناصر المؤمنة الخيرة في الأمة قاومت هذا الانحراف وتصدت للاتجاه السلبي التبريري إلا أن تلك التبريرات بمرور الزمن أخذت لها قوالب فكرية ومذاهب فلسفية وتحولت إلى ثقافة بديلة تملأ نفوس أبناء الأمة.

وجاء الاستعمار الحديث بإمكاناته الهائلة وتقدمه العلمي ليغذي ذلك الاتجاه في الأمة.. وهكذا تناسى المسلمون ثقافتهم الإسلامية الحقيقية بينما اكتسبت الثقافة التبريرية المتخلفة قداسة وشرعية وأصبحت هي الثقافة المسيطرة على

ساحة جماهير الأمة.

بين طموحات الإسلام وواقع المسلمين

إن الإسلام الذي نعتنقه دين عظيم أكرمنا الله به، إنه الطريق الوحيد الذي يحقق للإنسان إنسانيته في هذه الحياة ويضمن له التقدم والسعادة

وقد تعهد الله سبحانه وتعالى لمن يؤمن بهذا الإسلام ويطبقه أن يحيا حياة طيبة سعيدة يقول تبارك وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

والأمة التي تؤمن بالإسلام لا بد وأن تصبح أقوى الأمم في مختلف المجالات، وهذا ما يؤكده الله تعالى حيث يقول: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

ويضمن الله تبارك وتعالى للشعب الملتزم بالإسلام أن تتوفر له كل مقومات السعادة والهناء من السماء والأرض.. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[3].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

وحينما نقرأ التاريخ الإسلامي نرى كيف أن هذا الإسلام استطاع أن يحوّل شعبًا ممزقًا متخلفًا في صحراء الجزيرة العربية إلى أمة واحدة متماسكة تفتح مشارق الأرض ومغاربها، وتقود العالم إلى منعطف جديد، وتصنع حضارة من أرقى حضارات التاريخ في مختلف الحقول.

وبنظرة عميقة إلى مناهج الدين وقيمه وأنظمته نجد التركيز والاهتمام بسعادة الإنسان وتقدمه في هذه الحياة كهدف أساسي لجميع مبادئ الإسلام وأحكامه.

وهنا منشأ الدهشة والاستغراب: فإذا كان الإسلام يضمن السعادة لأتباعه ويحقق لهم التقدم كما يتعهد الله تعالى، وكما تشهد تجربته التاريخية وكما يبدو من خلال مبادئه فلماذا نرى في الواقع الخارجي المعاصر عكس ذلك تماماً؟

فها نحن المسلمون أتباع ذلك الإسلام نعيش منتهى التعاسة والشقاء ويحتضننا التخلف والانحطاط منذ زمن بعيد حتى قال أحد الشعراء: (يا أمة ضحكت من جهلها الأمم).

فكيف نفسر هذا التناقض العنيف بن واقع السعادة والتقدم الذي يفترض أن يصنعه لنا الإسلام وبين واقعنا المتخلف المعاش؟

هل صحيح ما يدّعيه البعض من أن سبب هذا التناقض بين

المفروض والواقع هو بسبب تطور الحياة وتقدم الإنسان؟ بمعنى أن الإسلام إنما يستطيع تحقيق مستوى التقدم والسعادة لمن كان يؤمن به في العصور الماضية، أما الآن وبعد هذا الشوط الطويل الذي قطعه الإنسان في مجالات العلم والصناعة، وبعد هذا التطور الفظيع في حياة الإنسان فإن الإسلام ما عاد قادراً على ممارسة دوره وتحقيق أهدافه المنشودة للإنسان في هذا العصر!! أننا لا يمكن أن نقبل هذا الادعاء بسهولة وذلك:

لأن الإسلام الذي نؤمن به هو دين إلهي وضعه خالق الحياة والإنسان ليكون دين البشرية إلى يوم القيامة، فلا يمكن أن تكون صلاحيته محدودة بزمان أو مكان.

من الثابت عقلاً أن تطور الحياة وتقدم العلم لا يمكن أن يتناقض مع الحقائق الصائبة، والمبادئ الثابتة. فحسن الصدق والعدل وقبح الكذب والظلم مبدأ ثابت لا يمكن أن يتغير تبعًا لأحداث الحياة، ووجود الله تعالى وحاجة الإنسان لرحمته ولطفه حقيقة صائبة لا يمكن أن تتبدل.

وأخيرًا فإن الشعب المسلم في إيران اثبت للعالم عملياً كيف أن الإسلام لا يزال قادراً على تغيير الواقع المتخلف، وتوفير السعادة والتقدم.

لقد استطاع الشعب المسلم في إيران بالإسلام والاسم وحده أن يحطم أقوى قلاع الديكتاتورية والظلم والإرهاب، وان يحقق طموحه في الحرية والاستقلال بشكل عملي، وبسرعة هائلة، فهو في الوقت الذي يواجه الغرب ويتحدى الشرق، ويقاوم مخلفات العهد السابق والمؤامرات المستمرة، وفي نفس الوقت يجري أربعة استفتاءات شعبية في غضون عام واحد!! كل ذلك بفضل الإسلام، فهل يمكن القول بان الإسلام عاجز الآن عن تحقيق السعادة والتقدم للإنسان؟ بعد هذه التجربة الحية الجديدة التي أذهلت العالم!

الإسلام المزيف

فأين إذاً يكمن التناقض بين طموحات الإسلام وواقع المسلمين ؟

يمكننا القول بكل ثقة وجزم أن المشكلة تكمن في سوء فهم المسلمين للإسلام في هذه العصور.

فالإسلام الذي يتعهد الله لمن التزم به التقدم والسعادة، والإسلام الذي صنع تلك التجربة التاريخية الرائعة.

والإسلام الذي تهدف برامجه وأحكامه إلى تحقيق حرية الإنسان وكرامته وتقدمه.

الإسلام الذي حرك الجماهير في إيران وجعلها تستقبل الرصاص في الشوارع وتقدم ستين ألف شهيداً ومائة ألف معلول حتى أسقطت حكم الطاغوت وأقامت جمهورية الإسلام. هذا الإسلام هو غير الإسلام المفهوم والمتداول بين المسلمين، إنه يختلف عنه ويتناقض معه تناقضيًا جذريًا وأساسيا. لقد تعرّض الإسلام لعمليات مستمرة من التحريف والتزييف لم يواجهها أي دين من قبل.. لقد مسخ الإسلام وتحول إلى شيء آخر ففي عصور التخلف أخذ المسلمون قشور الإسلام ومظاهره وأضافوا إليها الكثير من خرافاتهم وأوهامهم وتصوراتهم المنبثقة من واقعهم المتخلف ثم أطلقوا على هذا الخليط الممسوخ اسم (الإسلام) واعتبروا أنفسهم (مسلمين)!! وصرنا نبحث عن سبب التناقض بين الواقع الذي يعد به الإسلام والواقع الذي يعيشه المسلمون!!

لقد حذرنا الله تعالى من تجزئة الإسلام وفصل لبابه عن قشوره ومحتوياته. عن أطره وشكلياته.. وانذرنا أن نتيجة ذلك ستكون التخلف والانحطاط في الدنيا قبل الآخرة!! يقول تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

وفي أكثر من آية قرآنية يحذرنا الله تعالى من اتجاهات التحريف والتزييف التي يطلق عليها القرآن الكريم مصطلح: (تحريف الكلم عن مواضعه) أي تحوير قضايا الدين عن أهدافه الرئيسية لتبرير الواقع الفاسد يقول تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[2]. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3].

أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكأنه يعبر بدقة عن المعاناة التي يعيشها الإسلام معنا في هذه العصور حين يقول: «ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً»[4].

ما أروعه من تعبير دقيق يحكي الواقع بوضوح: أرأيتم (الفرو) وهو اللباس المتخذ من جلد الحيوان المكسو بالشعر؟ انه يلبس عادة بحيث تكون بشرة الجلد الكريهة من الداخل، بينما يكون الشعر اللطيف الجميل من الخارج.. ولكن ماذا إذا

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٥.
(٤) نهج البلاغة.

لبس الإنسان هذا اللباس (الفرو) بالعكس فجعل جهة الشعر من الداخل وبشرة الجلد من الخارج؟ سيكون حينئذ منظرا كريها تتقزز منه النفس ويتجمع عليه الذباب!!

هكذا يشبه الإمام علي عليه السلام تعاملنا مع الإسلام لقد أضعنا جوهر الإسلام الناصع وافينا وجهه الثوري الجميل، بينما تظاهرنا بقشوره وطقوسه ومظاهره الخالية من اللباب والجوهر، مما جعل للإسلام صورة مشوهة قبيحة تعرض عنها الأبصار، ويلتف حوله أصحاب المصالح المنتفعين من واقع التخلف والفساد!!

نعم هكذا صنعنا بإسلامنا العظيم فكان واقعنا المتخلف لنا جزاء عادلاً ويا ويلنا من عذاب يوم القيامة إن لم نتب إلى الله، ونعود إلى إسلامنا الحقيقي.

لم يسلم أي جانب من جوانب الإسلام من المسخ والتحريق والتزييف: العقائد، المفاهيم، الأنظمة، الأحكام، الخلاق!

ففي إسلامنا المشوه الممسوخ لم يعد الله عز وجل رباً للمستضعفين وقاصم الجبارين بل أصبح رباً للملوك الجبابرة والحكام الطغاة باسمه يحكمون وهم خلفاؤه وحماة مقدساته! أما المستضعفون المحرومون فهم كفار بغاة خوارج ملحدون إن هم طالبوا بحقوقهم، ورفعوا صوت المعارضة والرفض

أمـام الملـك الجبـار!! أما سـمعتم قول الشـاعر:

(كل من يطلب حقاً ثابتاً فهو شيوعي) ويقول آخر:

ومليـك مسـتبد قتـل النـاس وسـبح

فهـو كالجـزار دومـاً يذكـر اللـه ويذبـح

والقـرآن الحكيـم لـم يعـد هـدى يخرج النـاس مـن الظلمات إلـى النـور بل صار صـوت جميـلاً تتنافس عليـه إذاعـات الطغاة، وتنشـأ محطـات إذاعيـة باسـمه (إذاعـة القـرآن الكريـم أو صوت القـرآن) لتخديـر النـاس الذيـن يعيشـون ظلمـات الديكتاتوريـة والاسـتعباد.. ولخداعهـم بواقعهـم الفاسـد.

والمسـاجد فـي إسـلامنا الممسـوخ ليسـت مدرسـة للعلـم ولا مركـزاً لبحـث الأوضـاع السياسـية والاجتماعيـة!! وإنمـا هـي بنايـات فخمـة (عامـرة بالبنـاء خـراب مـن الهـدى) يتبـارى الإقطاعيـون والأمـراء فـي تشـييدها!!

والتقيـة ليسـت سـرية وكتماناً يسـتلزمها العمل الثـوري بل هي بدعـة ونفاق عنـد قوم، وخنوع واستسـلام عنـد آخرين!!

والعالـم الدينـي لم يعـد قائداً يتحمل مسـؤولية إصـلاح الناس وتنظيـم شـؤون دينهـم ودنياهم بـل هو هيـكل ديكـوري يتزين به محـراب المسـجد، وتتبارك به حفـلات الـزواج والطلاق!!

إلـى مـا هنالـك مـن مظاهـر وشـواهد عديـدة لعمليـة المسـخ والتحريـف التـي أجريناها علـى ديننا في هـذه العصـور المتخلفة وبعـد هـذا أليـس مـن الطبيعـي أن نعيش هـذا الواقـع المتخلف؟

الصراع مع الثقافة المتخلفة

إن الطريق الوحيد أمام الأمة للتخلص من هذا الواقع المتخلف إنما هو رفض هذه الثقافة المتخلفة والتبرؤ منها ومن ثم البحث عن إسلامنا الحقيقي وثقافتنا الإلهية الأصيلة ولكنه ليس طريقًا سهلًا معبدًا بالورود والزهور بل هو طريق شاق مزدحم بالعراقيل والعقبات مزروع بالأشواك والألغام.

وقد يستغرب الإنسان ذلك إذ كيف يكون صعبا إيمان المسلمين وتقبلهم لحقائق دينهم؟ أليسوا مسلمين؟ إذاً فلماذا يرفضون حقائق دينهم حينما تعرض عليهم؟ في الواقع أن هناك أسباباً وعوامل وراء تشبث أي مجتمع بأفكاره السلبية وثقافته المتخلفة وهي الأسباب التالية:

صعوبة تخلص الإنسان من العادات والأفكار التي يرثها من أسلافه ويمارسها فترة من الزمن، حيث تكتسب في

نفسه قداسة وشرعية، ويستلزم رفضه لها إدانته للأسلاف، ولممارساته الماضية وذلك شيء صعب عادة.

وقد عانى الأنبياء مع مجتمعاتهم كثيرا من هذه المشكلة (مشكلة التمسك بالعادات والقيم المألوفة والموروثة من الأسلاف) يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾[1].

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[2].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾[3].

وملاحظ كيف أن بعض العادات حتى البسيطة منها يصعب على الإنسان التخلي عنها كالتدخين والنوم في أوقات معينة وما أشبه.

وبما أن هذه الثقافة المتخلفة السائدة في مجتمعاتنا موروثة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٢) سورة يونس، الآيتان: ٧٧- ٧٨.
(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٥١-٥٣.

مـن الآباء وقد نشـأ عليها واستنشـق هواءها هذا الجيل فاكتسـبت لديه قدسـية وشـرعية، فغن التخلص منها ليس بالشـيء اليسـير.

إن الثقافة المتخلفة السـلبية تنسـجم مع ميول الإنسـان الطبيعية للراحـة، وانشـداده للمصلحـة، بينمـا الثقافـة الرسـالية تحملـه مسـؤولية العمـل والنشـاط، وتدفعـه نحـو العطـاء والتضحيـة، فحتـى المؤمنـون معرضون لخطـر الانشـداد للراحـة والمصلحة يقـول تعالـى: ﴿يَـا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـوا مَا لَكُـمْ إِذَا قِيـلَ لَكُـمُ انْفِرُوا فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ اثَّاقَلْتُـمْ إِلَـى الْأَرْضِ أَرَضِيتُـمْ بِالْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا مِـنَ الْآخِـرَةِ فَمَـا مَتَـاعُ الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا فِي الْآخِـرَةِ إِلَّا قَلِيـلٌ﴾[1].

وإذا مـا رأى الإنسـان نفسـه مخيراً بيـن ثقافتيـن: إحداهما تبرر لـه التقاعـس والجمـود وتوفـر لـه الراحـة والمصلحـة والأخرى تحملـه مسـؤولية التخلـف وتوجـب عليـه التحـرك والنشـاط وتدفعـه نحـو البـذل والتضحيـة.. فإنـه يجـد نفسـه منشـداً إلـى الثقافـة الأولـى اللهـم إلا إذا كان لـه عمـق إيمـان أو نضـج وعي.

يوجـد فـي كل مجتمـع مراكـز قـوى هـي التـي تسـيطر علـى المجتمـع وتوجهـه، وغالبـاً مـا تكـون هـذه المراكز مسـتفيدة من حالـة التخلف السـائدة لبناء كيانها ولاسـتمرار نفوذهـا ومكانتها، ولذلـك تعتبـر نفسـها حاميـة الثقافـة المتخلفـة والمحافظـة على

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

الوضع السائد، وتهب لمواجهة أي محاولة تغيير أو تجديد في أفكار المجتمع وثقافته لن تغيير ثقافة المجتمع سيعني بالطبع عدة أشياء خطيرة بالنسبة لها:

أـ إن تغيير ثقافة المجتمع يستتبع أوتوماتيكيا تغيير بنية المجتمع وشكل العلاقات القائمة بين أفراده وقطاعاته وبالتالي فإن مناصبهم ونفوذهم ستصبح معرضة لخطر حقيقي.

ب ـ إن التغير سيتضمن بالطبع إدانة لاتجاههم وممارساتهم وسيعري خطاهم وزيفهم أمام الجماهير.

جـ ـ ترافق أي عملية تغيير بروز قوى جديدة في الساحة تسحب البساط من تحت أرجل القوى المسيطرة وتستقطب ولاء الشعب وتأييده.

ولمواجهة هذه الأخطار التي تفرزها محاولة التغيير والتجديد تقف مراكز القوى على أهبة الاستعداد للقضاء على أي محاولة من هذا النوع.

مراكز القوى تحمي ثقافة التخلف

بقي أن نعرف من هي تلك القوى التي تحمي ثقافة التخلف وتدعمها وتواجه أي محاولة للثورة والتغيير إنها القوى التالية:

السلطات الطاغوتية: وصراعها مع الثقافة الرسالية صراع مصيري بالنسبة لها، فهي لا يمكن أن تستمر في السيطرة على شعب يحمل ثقافة ثورية رسالية. لن الوعي الثوري والثقافة الرسالية تفشل كل ألاعيب السلطة وأساليبها في الخداع والتضليل. وتدفع الشعب نحو المقامة والنضال. لذلك تستنفر السلطات الطاغوتية كل قواها لتكريس الثقافة الرجعية المتخلفة، ولمنع تسرب الوعي الرسالي الثوري للجماهير.

وإذا بفرعون الطاغية يعلن نفسه حامياً للدين يتوعد نبي الله موسى الذي يرد تحريف دين الناس!!

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[1].

نعم إن الأوهام والخرافات التي يؤمن بها قوم فرعون هي دينهم الذي يجب أن يحافظوا عليه، أما رسالة نبي الله موسى تلك الثقافة الإلهية الصحيحة فهي فساد يستعد فرعون بكل جهوده وقواه للقضاء عليها.

وهذا هو أسلوب كل الطغاة في مواجهة دعاة الثورة والتغيير في كل جيل وزمان.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٢٦.

وهـذا هو أسـلوب كل الطغاة فـي مواجهة دعاة الثـورة والتغيير فـي كل جيل وزمان.

وعـاظ السـلاطين: مـن المؤسـف أن بعضًـا مـن علمـاء الدين الذيـن تتركـز فيهـم ثقـة الشـعب ويشـكلون مصـدر التوجيـه والإرشـاد للجماهيـر، يصبحـون حمـاة للواقـع الفاسـد ودعـاة للثقافـة المتخلفـة وقـوة تواجـه أي محاولـة للتجديـد والتغييـر.

وذلـك بسـبب سـوء فهمهـم للإسـلام وانصياعهـم للثقافـة المتخلفـة، ولأن الاسـتعمار والحكومـات الطاغوتيـة تسـعى لاسـتغلالهم لتكريـس الثقافـة الرجعيـة ولجعلهـم غطـاء شـرعياً لتسـلطهم اللامشـروع ولممارسـاتهم الجائـرة.

هـؤلاء الفقهـاء والخطبـاء يعتبـرون خطـراً كبيراً على الإسـلام والأمـة لنهـم مـن أقـوى الأسـلحة التـي يشـهرها الطاغـوت أمام حركـة الثـورة والتغييـر. فالـزي الدينـي الـذي ترتديـه هـذه الفئة، ومظاهـر القداسـة التي تتقنـع بها، يوفر لهـم ثقة النـاس والتفافهم حولهـم وبالتالـي تضليـل النـاس وإبعادهـم عـن خـط الإسـلام الثـوري الأصيل.

عـن القـرآن الحكيـم يذكـر (بلعم بـن باعـورا) كنمـوذج لهذه الفئـة الضالة المضلـة يقول تعالـى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِـمْ نَبَأَ الَّـذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَـا فَانْسَـلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّـيْطَانُ فَـكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِـئْنَا

لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وقد حذر الله سبحانه المسلمين من تواجد هذه الفئة الخطيرة في صفوفهم عن طريق الاستشهاد بدور هذه الفئة في الأمم السابقة يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2].

والأحبار: رجال الدين اليهود، والرهبان: رجال الدين النصارى لهم صفتان خطيرتان: تحصيل المكاسب المادية باسم الدين من عرق الناس وجهود المستضعفين وإبعاد الناس عن الخط الإلهي المستقيم، ويحذر الله المؤمنين من تكرار هذه التجربة في صفوفهم، ولكنها وجدت مع الأسف في تاريخ امتنا وبشكل بشع فمن هذا الصنف كان (شريح القاضي) الذي أفتى بوجوب قتل الإمام الحسين عليه السلام ومنهم كل الفقهاء والخطباء الذين التفوا حول الحكام الأمويين والعباسيين بالأمس ويلتفون اليوم حول العملاء الحاكمين.

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٥-١٧٦.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

وقد عانت الثورة الإسلامية في إيران الكثير من المشاكل بسبب هؤلاء الفقهاء من وعاظ السلاطين قبل انتصار الثورة وبعدها.

وبقراءة خاطفة لكتابات الإمام الخميني وخطاباته السابقة نلاحظ مدى المرارة والألم الذي كان يعيشه الإمام من تصرفات هؤلاء الدجالين والرجعيين، انه يحذر الجماهير من خطرهم فيقول:

(هؤلاء جماعة من البلهاء يدعون بالمقدسين، وهم ليسوا بمقدسين، بل متقدسين يتكلفون التقدس، علينا أن نصلحهم وأن نحدد موقفنا منهم، لأن هؤلاء يمنعوننا من الإصلاح والتقدم والنهوض.

وذات يوم اجتمع في منزلي: المرحوم آية الله البروجردي، والمرحوم آية الله الحجة، والمرحوم آية الله الصدر، والمرحوم آية الله الخونساري للتداول في أمر سياسي مهم فتقدمت إليهم أن يحددوا موقفهم من هؤلاء المتظاهرين بالقداسة البهاء، وأن يعتبروهم أعداء من الداخل، لأن هؤلاء لا يهتمون بما يجري ويحولون بين العلماء الحقيقيين وبين تسلم السلطة والأخذ بزمام الأمور.

فهؤلاء يوجهون أكبر لطمة للإسلام، ويشكلون أكبر خطر

عليه، ويبرزون الإسلام بصورة مشوهة كأقصى ما يكون التشويه ويوجد من هؤلاء كثير في النجف وقم وخراسان، ولهم تأثير على البسطاء والبلهاء من أمثالهم من الناس. هؤلاء يعارضون من يصرخ في الناس لإيقاظهم مما غطوا فيه من السبات، هؤلاء يدعون الناس إلى الكسل والتخاذل هؤلاء يعارضون من يعارض ويقاوم نفوذ الانكليز والأمريكان)[1].

ويقول تحت عنوان (اطردوا فقهاء السلاطين):

(هؤلاء ليسوا بفقهاء، وقسم منهم قد ألبستهم دوائر الأمن والاستخبارات العمائم لكي يدعوا الله للسلطان، ويستنزلوا عليه بركاته ورحماته وقد ورد الحديث في شان هؤلاء فاخشوهم على دينكم.

هؤلاء يجب فضحهم، لأنهم أعداء الإسلام، يجب على المجتمع أن ينبذهم، ففي نبذهم واحتقارهم نصر للإسلام ولقضية المسلمين)[2].

مما سبق يتبين كيف أن هذه الفئة من رجال الدين (وفي بعض الأوقات والمجتمعات تشكل الأغلبية من رجال الدين) تعارض محاولات التغيير والتجديد وتسعى لإبقاء الأمة على

(١) الحكومة الإسلامية، ص١٣٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٣ .

واقعها الفاسد وثقافتها المتخلفة، سواء كان ذلك بقصد منها وارتباط بدوائر الاستعمار أو بغير قصد، بل لسوء فهمها للإسلام.

الأثرياء المترفون: وهؤلاء يصبحون بثرواتهم ومكانتهم الاقتصادية وجهاء البلاد وشخصيات المجتمع ويهمهم جداً الحفاظ على نفوذهم ووجاهتهم، ويعملون دائما لأحكام سيطرتهم على اقتصاد المجتمع وبالتالي يسيطرون على شؤونه.

الرسالات السماوية وحركات الثورة والتغيير تهدد مصالحهم بالخطر، فهي لا تسمح لهم بالإقطاع والاستغلال والاحتكار، وسائر الأساليب التي يمارسونها لتكريس الثورة على حساب مصلحة الشعب، بالإضافة إلى أن الرسالة والصورة نعمل خارج نطاق نفوذهم ودون الخضوع لوجاهتهم ومكانتهم، وهذا هو ما يضايق المترفين الذين يريدون السيطرة على المجتمع بشكل كامل، فكيف يسمحون بظهور قوة جديدة في المجتمع لا تخضع لوصايتهم.

والمترفون عادة ما يكونون بؤرة المفاسد والانحرافات الاجتماعية، فاللهو والخمر والفجور وسائر المفاسد تترعرع في أجواء المترفين، وهذا ما يجعل اصطدامهم بالرسالة

والثـورة شـيئا حتميًّـا وطبيعيًّـا.

ويؤكـد القـرآن الحكيم الـدور الرئيـس للمترفين فـي معارضة الرسـالات السـماوية والإصـرار علـى التخلـف فـي أكثر مـن آية فيقـول تعالى:

﴿وَمَـا أَرْسَـلْنَا فِـي قَرْيَـةٍ مِـنْ نَذِيـرٍ إِلَّا قَـالَ مُتْرَفُوهَـا إِنَّـا بِمَـا أُرْسِـلْتُمْ بِـهِ كَافِـرُونَ﴾[1].

﴿وَكَذَلِـكَ مَـا أَرْسَـلْنَا مِـنْ قَبْلِـكَ فِـي قَرْيَـةٍ مِـنْ نَذِيـرٍ إِلَّا قَـالَ مُتْرَفُوهَـا إِنَّـا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّـةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِـمْ مُقْتَدُونَ﴾[2].

﴿وَإِذَا أَرَدْنَـا أَنْ نُهْلِـكَ قَرْيَـةً أَمَرْنَـا مُتْرَفِيهَـا فَفَسَـقُوا فِيهَـا فَحَقَّ عَلَيْهَـا الْقَـوْلُ فَدَمَّرْنَاهَـا تَدْمِيراً﴾[3].

هكـذا يكـون الأثريـاء المترفـون الركـن الثالـث مـن الثالـوث اللامقـدس فـي مواجهة أي حركـة لتغيير ثقافة الأمـة وتجديدها.. ولكـن هـذا لا يعنـي أن كل ثري أو تاجـر مندرج ضمن هـذه الفئة فهنـاك أثريـاء وتجـار مؤمنـون لا تنطبـق عليهـم صفـة التـرف، وهـؤلاء كانـوا ولا يزالون يشـكلون دعما وسـنداً لحركة الإسـلام ولنشـاط الثائريـن، وأبـرز نمـوذج لهـم في هـذا العصر هـم تجار

(١) سورة سبأ، الآية:٣٤.
(٢) سورة الزخرف، الآية:٢٣.
(٣) سورة الإسراء، الآية:١٦.

طهـران الذيـن وقفـوا مـع الثـورة الإسـلامية وقائدهـا العظيم منذ البدايـة، يمولـون نشـاطات الثـورة، ويسـاعدون الثـوار، وينفقون على عوائـل الشـهداء والمعتقلين والمشـردين ويخضعون لأوامر قائـد الثـورة الخمينـي أن طلـب منهـم إغـلاق الأسـواق وإعـلان الحـداد، أو مقاطعـة أي جهـة مـن الجهات.

التحالف اللامقدس

حينمـا تنطلق فـي المجتمـع حركة التغييـر والتجديـد لمقاومة الثقافـة المتخلفة، وتعريـف الجماهيـر بالثقافة الإسـلامية الثورية الأصيلـة، تحـد تلـك الفئـات (السـلطات الطاغوتيـة + وعـاظ السـلاطين + المترفون) نفسـها في خنـدق واحـد لمواجهة حركة التغييـر، ويصبـح هنـاك تحالف لا مقـدس فيما بينهـا للقضاء على تلـك الحركة، وقـد لا يكون هذا التحالـف رسـمياً أو معلنا ولكنه واقعـي وملموس.

فمثـلاً السـلطات الطاغوتيـة تحـارب الفكـر الثـوري وتعتبـره نشـاطا سياسـياً مخـلاً بأمـن الدولـة ومصلحتهـا العليـا. وفـي نفـس الوقـت يهب علمـاء الديـن الرجعيـون (وعاظ السـلاطين) لمواجهـة الفكـر الثـوري بفتـاوى ووصفـه بأنـه بـدع وتحريـف وانحـراف عـن الديـن، واتهـام أصحابـه بالكفـر والضـلال بينمـا ينبـري المترفـون إلـى مقاومـة نشـاط المصلحيـن الثائريـن

والتضييق عليهم اجتماعياً، بمنعهم من ممارسة نشاطهم في المساجد والحسينيات (التي تكون تحت سيطرتهم) وبمحاولة عزل الثوار اجتماعيا وتنفير الناس منهم.

أرأيتم كسف يمارس التحالف اللامقدس دوره الخبيث في مواجهة حركة التغيير والإصلاح؟ وقد لا يكون بتنسيق مسبق واتحاد مباشر معلن فقد تختلف منطلقات كل فئة عن الفئة الأخرى، فالسلطة تقاوم الفكر الثوري من منطلق سياسي، بينما ينطلق بعض العلماء الرجعيين من منطبق ديني لسوء فهمه للدين فيواجه الثوار المصلحين ويحاربهم بنية التقرب إلى الله تعالى!! كما كان عمر بن سعد في قتاله للإمام الحسين عليه السلام فيقول: يا خيل اركبي وبالجنة ابشري!!

والجماهير ما هو دورها

ولكن ما هو دور الجماهير في ساحة الصراع المحتد بين قوى التغيير والثورة وقوى التخلف؟ المفروض أن يكون لها دور ايجابي إلى جانب قوى التغيير والثورة.. فالصراع ليس صراعا شخصيا أو مصلحيًّا يخوضه الثوار، إنما هو صراع مبدئي مصيري يتعلق بمستقبل الشعب ومصلحته ومن أجل سعادته وكرامته وحماية حقوقه.

ولكن الجماهير التي تستنشق هواء الثقافة تكون مبتلاة

بمرضين يجعلانها مع الأسف تأخذ دورا سلبيا من الصراع بالتفرج عليه والانضمام إلى جبهة التخلف!!

هذان المرضان بالإضافة إلى ما سبق في أول الحديث (من انشداد الإنسان إلى الأفكار الموروثة وميله إلى ثقافة الجمود والكسل التي لا تحمله مسؤولية ولا تكلفه تضحية) هما:

- مرض الجهل وبالتالي لا تعي حقيقة الصراع وماذا يعني بالنسبة لها وتأثيره على مستقبلها.
- مرض العبودية حيث لا يمتلك أكثر الناس جرأة على التمرد أو رفض الخضوع لمراكز القوى المسيطرة في المجتمع، ورغم أنهم يذوقون منهم الأمرين إلا أنهم يستمرون في الخضوع لوصايتهم.

مرة كان أحدهم يشكو لي استياءه من العالم الديني الذي يدين له بالولاء وكيف أنه موالى للسلطة الحاكمة، ومدافع عن نفوذ الإقطاعيين، ومقصر في القيام بواجبه في توجيه الناس.. إلى آخر قائمة المساوئ التي سردها.

فقلت له: ولماذا تستمر في الخضوع له مع علمك بواقعه الفاسد؟

أجاب: وهل أنا كفء وأهل لمعارضة العالم وما أنا وما قيمتي وماذا سيقول الناس عني؟

نحو وعي سياسي

أرأيتم الخفافيش التي لا تتحرك إلا في الظلام فإذا ما داهمها الضوء لاذت بالانعزال والركود وعميت أبصارها عن الرؤية والنظر؟

وهل رأيتم اللصوص الذين يبدؤون في ممارسة نشاطهم الإجرامي حينما يغط الناس في نوم عميق ويسيطر الهدوء والسكون على الجو؟

كذلك الاستعمار يستغل ظلام جهل الشعوب وعميق سباتها الفكري ليمارس دوره البشع في الاستغلال والاستحمار!

وكما تعمى أبصار الخفافيش عندما يشرق الضياء، ويلوذ السراق حينما ينتبه أصحاب المحل الذي أرادوا سرقته.. كذلك يرهب الاستعمار وعي الشعوب وينهزم أمام يقظتها.

إن الاستعمار لا يمكنه السيطرة على شعب واع أو استغلاله،

مهمـا أوتـي من قـوة وتفـوق.. وإن خدمته ظـروف معينـة فاحكم سـيطرته على شـعب يتمتـع بكامل الوعـي واليقظة فإنـه أعجز من أن يحتفـظ بمواقعه وأن يسـتمر في تسـلطه!

ولـذا يعمـل الاسـتعمار بـكل قـواه وإمكاناتـه علـى تجهيـل الشـعوب وتخديرهـا لتصبـح فريسـة سـهلة لمصالحـه وأطماعه.

تلـك حقيقـة ثابتـة لا يشـك فيهـا مـن لديـه أدنـى اطـلاع على تاريـخ الاسـتعمار. فكيـف إذا اسـتطاع الاسـتعمار إخضـاع امتنـا الإسـلامية لسـيطرته ونفـوذه وهـي تحمـل روح الإسـلام اليقظـة وفكـره الواعـي؟

فـي الحقيقـة لـو كانـت الأمـة تحمـل روح الإسـلام اليقظـة وفكـره الواعـي لتقهقر الاسـتعمار أمـام يقظتها ووعيهـا.. ولكنها حينمـا غطت في سـبات الجهـل، وافتقدت نور الوعي الإسـلامي أصبحـت لقمـة سـائغة تتعاقب عليها قـوى الاسـتعمار وتتفنن في اسـتغلالها ونهـب ثرواتها.

فقـد تحـول الإسـلام عند المسـلمين فـي عصـور التخلف إلى ديـن عبـادات وطقـوس روحيـة ينصـب اهتمامـه علـى الإعـداد والتخطيـط لحيـاة الإنسـان الأخـرى!! أما الحيـاة الدنيـا فهي اقل مـن يهتـم بها الإسـلام، أو ينشـغل بها الإنسـان المؤمـن!! فليترك المؤمنـون الدنيـا لأهلها ولا يلوثون أنفسـهم بشـيء مـن قضاياها

وليقبلوا على عبادة ربهم وتهيئة قصورهم في الجنة!!

وبناءاً على هذه النظرة فما للمؤمنين والتدخل في قضايا السياسة؟ أو ماذا يهمهم من شؤون الاجتماع والاقتصاد؟ فليسرح الكفار والمنحرفون ويمرحون في هذه الدنيا ويمرحون في هذه الدنيا فإنها جنة الكافر وسجن المؤمن والآخرة هي جنة المؤمن وسجن الكافر!!

لقد كانت هذه النظرة السلبية المغلوطة عن الإسلام والحياة هي الظلام الذي تحركت فيه خفافيش السلطات الطاغوتية المنحرفة التي نزت على عروش الخلافة والحكم في تاريخ الأمة الماضي كالأمويين والعباسيين..

وجاء دور الاستعمار:

وجاء الاستعمار الحديث بكل نهمه وأطماعه ليجد في الأمة الإسلامية مرتعا يمكنه الترعرع فيه واستثماره طويلاً ما دامت النظريات السلبية المغلوطة تهيئ له أجواء الظلام وتعمق سبات الأمة وتخدر نفوسها وتشل إرادتها.

وبجهود الاستعمار ونشاط عملائه تبلورت تلك النظرة السلبية وأصبحت فكرة واتجاهها يهيمن على قطاعات واسعة من الأمة تحت عنوان (الفصل بين السياسة والدين).

نعم تحولت تلك النظرة السلبية من قناعة تختمر في نفوس المؤمنين البسطاء إلى فلسفة لها أدلتها وبراهينها ويتبناها قطاع من المفكرين والكتاب والأدباء المسلمين الذين وجدوا في واقع الكنيسة المسيحية وشعارها المشهور: (ما لله لله وما لقيصر لقيصر) وجدوا في ذلك الشعار تجربة يمكن الاستفادة منها وتطويرها بحيث تتلاءم وتنسجم مع الإسلام.

لقد تبنى الاستعمار فكرة الفصل بين الدين والسياسة وعمل بكل جهوده على تكريسها وتركيزها في أذهان المسلمين..

نتائج خطيرة

ونجح الاستعمار كثيراً في نشر هذه الفكرة في أوساط المسلمين وأثمرت جهوده فكانت لها نتائج خطيرة على الإسلام والمسلمين.. ومن مظاهر نجاح الاستعمار في هذا المجال الموارد التالية..

إيمان الأكثرية: من عامة المسلمين بهذه الفكرة، وممارستهم لها عمليا حيث ينعدم لديهم الاهتمام بقضايا السياسة والحكم والأخبار والأحداث.. بل أصبح الاهتمام بقضايا السياسة وممارسة النشاط السياسي في غير سلك الدولة تهمة وجريمة في بعض مجتمعاتنا فالأب يحذر ولده من التدخل في لسياسة! والحكومة تأخذ التعهدات على المواطنين أن لا يمارسوا نشاطا

سياسياً! والناي ينفرون من الأشخاص المهتمين بالسياسة! والعالم الديني إذا مارس دورا سياسياً تسقط قيمته وعدالته!

هكذا أصبحت السياسة تهمة وجريمة في مجتمعاتنا المتخلفة.

تغلغل هذا الاتجاه في المجامع العلمية الدينية (الحوزات) وبالتالي فإن أفواج العلماء والخطباء والوعاظ الذين يتخرجون من هذه المجامع وينالون ثقة الناس ويقومون بتوجيههم وإرشادهم..

هؤلاء يبتعدون عن أي اهتمام أو نشاط سياسي ويحاولون إبعاد جماهير الأمة أيضًا!!

بروز قيادات دينية تجسد هذه الفكرة ففي الوقت الذي تلتف حولها جماهير الأمة، وتقدمها وتدين بقيادتها فإنها ترفض التدخل في أي شأن سياسي من شؤون الأمة!!

وبألم يتحدث الإمام الخميني عن تغلغل اتجاه الفصل بين الدين والسياسة في المجامع العلمية الدينية (الحوزات) وعن وجود قيادات يقدسها الناس وهي تجسد هذا الاتجاه فيقول:

(ومجامعنا وهيئاتنا الدينية هي بدورها تحتاج إلى إصلاح ولا بد من اجتثاث جذور الأفكار القيمة الوافدة من الخارج..

نحـن نلاحـظ وجـود أنـاس متأثرين بتلـك السـموم بيـن صفوفنا فنرى البعض منهم يسـر إلـى الآخر: أن هذه الأعمال (السياسـية) لـم تخلـق لنـا ولم نخلـق لهـا. ومـا نحـن وذاك؟ نحن ندعـو الله ونبيـن المسـائل!! هـذا المنطـق نتيجـة مـا يلقيـه الأجانـب فـي روع النـاس (مـن مئـات السـنين وهـذا هو الـذي يجعـل القلوب فـي النجـف وقـم وخراسـان[1] خائـرة وهزيلـة واهنة غير راشـدة وحجتهـا فـي ذلـك: أن ذلك ليـس من شـأننا)[2].

(المؤسسـات الاستعمارية كلها وسوسـت ي صدور الناس أن الديـن لا يلتقـي مع السياسـة. الروحانيـة (أي علمـاء الدين) ليس لهـا، أن تتدخـل فـي الشـؤون الاجتماعية. ليـس من حـق الفقهاء أن يعملـوا لتقريـر مصيـر الأمـة. ومن المؤسـف جـدا أن (البعض منـا صـدق الأباطيـل وقد تحقـق بهـذا التصديـق اكبر أمـل كانت تحلـم به نفوس المسـتعمرين) انظـروا الهيئات الدينية فسـتجدون آثـار ونتائـج تلك الدعايـات واضحة فهنـاك البطالـون من عديمي الهمـم، وهنالـك الكسـالى الذيـن يكتفـون بالدعـاء والثنـاء والتحـدث فـي بعض المسـائل الشـرعية وكأنهـم لم يخلقـوا لغير ذلك)[3].

(١) مدن تحتضن أهم المجامع العلمية.
(٢) الحكومة، ص١٣٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١٣٨.

(وقد تركت خططهم آثارها حتى في مجامعنا الدينية والعلمية بحيث إن أحدا لو أراد التحدث في موضوع حكومة الإسلام فلا بد أن يستعمل التقية أو يجابه أذناب الاستعمار)[1].

(هؤلاء جماعة من البلهاء يدعون بالمقدسين وهم ليسوا بمقدسين بل متقدسين يتكلفون التقدس.. لأن هؤلاء لا يهتمون بما يجري ويحولون بين العلماء الحقيقيين وبين تسلم الساحة والأخذ بزمام الأمور، فهؤلاء يوجهون أكبر لطمة للإسلام، ويشكلون اكبر خطر عليه، ويبرزون الإسلام بصورة مشوهة كأقصى ما يكون التشوه، ويوجد من هؤلاء كثير في النجف وقم وخراسان ولهم تأثير على البسطاء والبلهاء من أمثالهم من الناس، هؤلاء يعارضون من يصرخ في الناس لإيقاظهم مما غطوا فيه من السبات. هؤلاء يدعون الناس إلى الكسل والتخاذل. هؤلاء يعارضون من يعارض ويقاوم نفوذ الانكليز والأمريكان)[2].

لماذا الفصل بين الدين والسياسة

واضح لماذا يهتم الاستعمار ومن قبله سلطات الظلم والانحراف بنشر هذه الفكرة وتكريسها في الأمة بمختلف

(١) المصدر نفسه، ص١٤.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٠

الوسائل والأساليب وعلى نحو التفصيل يمكننا تحديد الأهداف التالية:

- **لتشويه حقيقة الاسم وأبعاده عن مسرح الحية:**

فقوة الإسلام تكمن في شموليته وتنظيمه لجميع قضايا الحياة، فهو ليس دينا روحيا فقط يهتم بالطقوس والعبادات.. ويتنكر للحياة الدنيا. ويولي اهتمامه نحو الآخرة فحسب.. بل يرى أن سعادة الآخرة تأتي من خلال صلاح دنيا الإنسان، فالإسلام جاء لجل تنظيم الحياة الدنيا وإسعاد الإنسان فيها بالإضافة إلى توفير النعيم في الآخرة.. يقول تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

وفي الحديث الشريف: «من لا معاش له لا معاد له» «ليس منا من ترك دنياه لآخرته وليس منا من ترك آخرته لدنياه».

وقوة الإسلام أيضًا تكمن في روحه الثورية التي يزرعها في نفوس أبنائه ليكونوا في ثورة دائمة مستمرة نحو الأفضل والتقدم.. ففي الحديث: «من تساوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة».

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

وما دام المسلمون يفهمون الإسلام على حقيقته ويطبقون أنظمته السياسية والاقتصادية والاجتماعية فلن يجد الاستعمار أي محال للتسرب إلى حياتهم أو النفوذ في صفوفهم. بل سيصبحون قوة عظمى تهدد كل مواقع الاستعمار في العالم كما دكوا بالأمس حصون كسرى وقيصر!!

ولأن الاستعمار يعرف ذلك جيداً ويدرك هذه الحقيقة فقد ركز جهوده واهتمامه لتفريغ الإسلام من مضامينه الحيوية، وتجريده من أنظمته السياسية والاقتصادية، وإظهاره كمجرد دين روحي له برامج عبادية وإرشادات أخلاقية وأهداف أخروية!!

وبذلك ينعزل الإسلام عن مسرح الحياة ليمرح فيها الاستعمار، يخططه وأفكاره وأنظمته، التي تخدم أهدافه ومصالحه.. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يضمن الاستعمار حدوث ردة فعل ونفور في نفوس الأجيال الناشئة من المسلمين تجاه دينهم، إذ حينما يتربون في أحضان الحضارة المادية، ثم يجدون دينهم بعيداً عن قضايا الحياة، غير مهتم بشؤون المجتمع، فما الذي يشدهم إليه إذاً؟ وهذا ما حدث بالفعل!!

- **لتجميد دور القيادات الدينية وإفساح المجال للقيادات**

المنحرفة والعميلة:

فالأمة حينما تؤمن بشمولية الإسلام، وتخضع له في حياتها العملية السياسية والاقتصادية والاجتماعية فإن أزمة أمورها وتسيير شؤونها سيكون بيد القيادات الدينية أو لا أقل سيكون حينئذ للقيادات الدينية دور فعال وموقف يحسب له حساب. وهذا ما يحتمله الاستعمار لما يعرفه من إخلاص القيادات الدينية وصلابتها وقوتها الجماهيرية، فخداعها واستغلالها متعذر على الاستعمار غالباً!!

أما إذا سادت الفكرة الاستعمارية الخاطئة (الفصل بيت الدين والسياسة) فإن دور القيادات الدينية سيتقلص وينكمش في حدود المساجد ومجالس الوعظ والإرشاد وإصدار الفتاوى في المجالات العبادية.. وتصبح الساحة فارغة للقيادات التي يخلقها الاستعمار أو يتمكن من التعامل معها، حيث لا تمتلك إخلاصا ولا صلابة وليست مدعومة بقوة شعبية جماهيرية..

بالإضافة إلى أن تجميد القيادات الدينية يعزلها في المجتمع ويجعل ارتباط الشعب بها ضيقًا لا يتعدى حدود الإجابة على الاستفتاءات وقضايا العقد والطلاق!!

- **لتجهيل المسلمين واستغفالهم: فمع وعي الشعب ويقظته السياسية، وتنبهه لما يحدث ويجري، لا يستطيع**

الاستعمار وعملاؤه أن يتصرفوا كما يريدون ويشاءون.

أما إذا كان الشعب غافلاً عما يجري غير متابع للأحداث ولا يحمل وعيًا سياسيًا.. فإن المجال يكون واسعاً أمام الاستعمار لتحقيق أهدافه ومخططاته.. ولذلك يعمل الاستعمار على إبقاء شعوبنا جاهلة غافلة، عن طريق بث (فكرة الفصل بين الدين والسياسة)!!لتنطلي عليهم مؤامراته ويتاح له مجال التلاعب بمقدرات الشعوب وخيراتها!!

(عندما تتحقق أمنيتهم (المستعمرون) في هذا الفصل والعزل (بين الدين والسياسة) يستطيعون أن يذهبوا بثرواتنا ويتحكموا فينا! وأنا أقول لكم: أنه إذا كان همنا الوحيد أن نصلي وندعو ربنا ونذكره ولا نتجاوز ذلك فالاستعمار وأجهزة العدوان كلها لا تعارضنا. ما شئت فصل! ما شئت فأذن وليذهبوا بما أتاك الله! والحساب على الله! لا حول ولا قوة إلا بالله! وعندما نموت فأجرنا على الله!.. قيل أن احد قادة الاحتلال البريطاني للعراق حينما سمع المؤذن سأل عن الضرر الذي يسببه الأذان للسياسة البريطانية؟ فلما اخبر انه لا ضرر من ذلك قال: فليقل ما شاء ما دام لا يتعرض لنا!! وأنت إذا كنت لا تمس السياسة الاستعمارية وكنت في دراستك للأحكام لا تتجاوز النطاق العلمي فلا شأن لهم معك.. صلي ما شئت! هم يريدون

نفطك، أي شأن لهم بصلاتك؟ هم يريدون معادننا يريدون أن يفتحوا أسواقنا لبضائعهم ورؤوس أموالهم)[1].

السياسة في الإسلام

من أجل أن يقود الإمام أمته نحو الحرية والاستقلال .. من اجل أن ينقذ الشعوب المسلمة وينتشلها من أوحال التخلف والطغيان والفساد.. كان على الإمام في المرحلة الأولى أن يكشف للأمة عن إسلامها الحقيقي الذي ينبض بالحيوية والثورية.. وان يوقظ الشعوب من سباتها وجهلها ويلفتها إلى المخاطر التي تحيط بها.. وذلك بدفعها نحو الوعي الإسلامي والسياسي..

من هذا المنطلق ركز الإمام الخميني جهوده على إفشال خطة الاستعمار بفصل الدين عن السياسة وإبعاد المسلمين عن قضايا السياسة والاجتماع.. فبلغة الفقيه العارف بدين الله وأحكامه يؤكد الإمام: إن السياسة ليست منفصلة عن الدين بل هي جزء لا يتجزأ من صميم الإسلام.. وان الاهتمام بشؤون السياسة والحكم واتخاذ المواقف اللازمة تجاه قضايا الأمة وظيفة إسلامية وواجب ديني.. ويوضح الإمام منطلقاته المبدئية في الموضوع ضمن النقاط التالية:

(١) المصدر نفسه، ص٢١.

اهتمام الإسلام بقضايا السياسة والحكم والشؤون الاجتماعية والاقتصادية، ووضعه البرامج والتشريعات الكاملة في هذه المجالات، وهذا أمر طبيعي نابع من شمولية الإسلام وكماله.. وإذا كان الإسلام يهتم بهذه الجوانب فهل يصح للمسلم أن يتجاهلها ويبتعد عنها؟ ألم يضع الله تلك البرامج والتشريعات للتطبيق والتنفيذ؟ وإذا ما اعرض عنها المسلمون فمن المسؤول عن تطبيقها في واقع الحياة؟ أن كيف يجوز للمسلمين أن يؤمنوا ببعض الكتاب المتعلق بالعبادات والأخلاق وشؤون الآخرة ويكفرون بالبعض الآخر المتعلق بتخطيط الحياة وتنظيم شؤونها؟

إن الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام) مارسوا في حياتهم أدوارا سياسية وهم لنا قدوة وأسوة، فلو كانت أمور السياسة ليست من شأن الدين أو كان الاهتمام بها وممارستها عيبا وخطأ لما اقترب منها احد من الأنبياء والأئمة..

فنبي الله سليمان بن داود عليه السلام أعطاه الله ملكًا وسلطة عظيمة كان يديرها بنفسه.

ونبي الله يوسف عليه السلام طلب بنفسه من عزيز مصر أن يوليه شؤون الاقتصاد والمال كما يحكي عنه القرآن الحكيم:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ* قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وكم لعلمائنا المخلصين الواعين عبر التاريخ من مواقف سياسية حاسمة دفاعًا عن عزة الإسلام وحفظًا لمصلحة المسلمين..؟

(لقد كان علماء الدين وراء وقائع سياسية عديدة، حصلت حديثا.. كلكم تعرفون قضية (التنباك) وتعرفون كيف قام علماء إيران وعلى رأسهم الميرزا الاشتياني في طهران ومن ورائهم الشعب كله، وذلك على اثر صدور الحكم من السيد الشيرازي الكبير رضوان الله عليه حيث تمكنوا في النهاية من إعادة الكيان إلى الدولة، بعد أن شلت كل سلطاتها، بتقديم الامتيازات إلى المستعمرين مقابل ثمن بخس أخذه العملاء من زبانية الملك لإشباع شهواتهم الشخصية.. فقد ضحى (الشيرازي) وبقية أخوانه العلماء، وتحملوا المشاق والأذى، وقاوموا، وحملوا الأمة على المقاومة والمقاطعة، وثابروا على النضال حتى الغي الامتياز الأجنبي..

وأن (الحركة الدستورية) التي كانت موجهة ضد

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٥٤-٥٥.

الديكتاتورية، بدأت من النجف الأشرف وبمبادرة العلماء، ومن وحي فكرهم الحر ومن ثم ثار علماء إيران، وواصلوا ثروتهم حتى قضوا على الديكتاتورية التي كان (الشاه) بموجبها يقتل من يشاء ويفعل ما يشاء.

ولو لم تكن نضالات علماء الدين في العراق، لكنا ما نزال تحت السيطرة الاستعمارية! أن علماء الدين حملوا السلاح ونزلوا إلى ساحة الحرب بأنفسهم، وقتل نجل السيد محمد كاظم اليزدي في ساحة القتال. وقد اشترك المرحوم محمد تقي الخونساري في الحرب، وقد اسر مع عدد من العلماء الآخرين ومن ثم أخذوهم إلى المنفى..

وأن الشيخ الشيرازي ذلك الرجل الكبير والقائد العظيم ذو الرتبة السامية في العلم والعمل، هو الذي قاد حركة النضال والثورة في العراق.. فعندما استفتته العشائر عن واجبها حيال الاحتلال الانجليزي.

حكم بوجوب محاربة المحتلين وجهادهم، وهكذا اندلعت الثورة وحققت استقلال العراق (النسبي) ولولا نضالات علماء الدين ومواقفهم الوطنية تلك لكنا اليوم جزء من مستعمرات بريطانيا..

وأن المرحوم (المدرس) وهو واحد من أولئك الذين

قاومـوا الظلـم ووقفـوا فـي وجـه طغيـان ذلـك (الرجـل البدوي) رضـا خـان بهلـوي العاتـي.

وعندمـا زحـف الجيـش الروسـي إلـى داخـل حـدود الوطن، وتقدمـت الدولـة الروسـية بإنـذار إلـى دولـة إيـران لكـي يصدق البرلمـان علـى قانـون مـذل، وعندمـا عـرض ذلـك القانـون على البرلمـان الإيرانـي تحيـر النـواب جميعًـا ولـم يتمكنـوا مـن أخذ أي مبـادرة وطنيـة شـريفة!! حينذاك قـام المرحوم (المـردس) بيد مرتعشـة (حيـث كان كبيـر السـن) ووقـف خلـف المنصـة قائلاً: (إذا كان الأمـر يقتضـي أن نفنى فلماذا نسـعى بأيدينا إلـى الفناء؟) فاعتـرض علـى القانـون متجاهـلاً الإنـذار الأجنبـي وتبعـه بقيـة النـواب حيـث رفـض القانـون (العار) ولـم يقدم الـروس على أية عمليـة عدوانية ضد إيـران يـوم ذاك، بفضل هذا العالـم الروحاني (ذي اليد المرتعشـة).

وأخيـرًا لا آخـر فـإن الانتفاضـة (١٥ خـرداد) الخامـس مـن حزيـران ٦٣ التـي قـدم فيهـا الشـعب الإيرانـي الأبـي التضحيات الجسـام كان لعلمـاء الديـن فيهـا دور طليعـي فـذّ.. وهـم الذيـن يسـعون لتصعيـد النضـال وضمـان اسـتمراريته)[1].

هـذه بعـض المواقـف السياسـية النضاليـة التي اتخذهـا علماء

(١) دروس في الجهاد والرفض، ص٢٣٧.

دين ومراجع لا يشك احد في مقامهم وقداستهم.. فهل كانت تلك المواقف منهم تدخلاً فيما لا يهمهم ولا يعنيهم؟ أم كان الإسلام هو الذي أملى عليهم تلك المواقف.

وبعد كل هذا هل يصح القول بانفصال الدين عن السياسة أو أن الإسلام ينصح بالابتعاد عن قضايا السياسة؟

مغالطات مفضوحة

ولكي يضمن الاستعمار رواج فكرة الفصل بين الدين والسياسة وينجح في إبعاد المسلمين عن الوعي والاهتمام السياسي، وزر بعض المغالطات المفضوحة وبثها على شكل أفكار وإشاعات شقت طريقها في أوساط البسطاء السذج، من تلك المغالطات ما تعرض لها الإمام الخميني في خطاباته وكتاباته وسلط عليها الأضواء مثلاً:

إن السياسة تتطلب من الإنسان المراوغة والنفاق والكذب والجدير بالمؤمن هو تجنب هذه المواطن!! صحيح أن السياسة السائدة في العالم تتصف بهذه السمات، ولكن الإنسان المؤمن حينما يدخل معترك السياسة يلتزم بقيمه وأخلاقه الإسلامية ولا ينحدر إلى منزلق النفاق والكذب. ولا يعني ذلك أن ذات العمل السياسي يقتضي هذه الصفات السيئة إنما انحراف السياسيين الماديين هو الذي أوقعهم في

تلـك المسـاوئ. فهل ذلك مبـرر لتجنب السياسـة ذاتهـا ما دامت تعنـي الاهتمـام بشـؤون الأمـة والوطـن والعمـل مـن أجـل حفظ الإسـلام ومصلحـة المسـلمين؟ أن ذلـك شـبيه بتجنـب دراسـة الطـب وممارسـته لان هنـاك أطبـاء خائنيـن ومنحرفيـن!!

إن السياسـة في الإسـلام تعنـي العمل بإخـلاص ونزاهة وطهر مـن اجـل اللـه ولخدمـة عبـاده. فمـرة سـئل الإمـام الحسـن بـن علـي بن أبـي طالب عليه السلام عن السياسـة؟ فقـال: (السياسـة أن ترعى حقـوق اللـه وحقوق الأحيـاء والأمـوات، فأمـا حقوق اللـه فأداء مـا طلـب والاجتنـاب عمـا نهـى، وأمـا حقـوق الأحيـاء فهـي أن تقـوم بواجبـك نحـو إخوانـك ولا تتأخـر عـن خدمة أمتـك، وان تخلـص لولـي الأمر ما اخلـص لامتـه، وترفع عقيرتـك في وجهه إذا مـا حـاد عـن الطريـق السـوي، وأمـا حقـوق الأمـوات فهي أن تذكـر خيراتهـم وتتغاضى عن مسـائهم فإن لهم ربا يحاسـبهم)[1].

إن السياسـة لا يفهـم فيهـا أي واحـد مـن النـاس، إنمـا يحتـاج إلـى مسـتوى وخبرة وممارسـة ومـا قيمتنا أنـا وأنت حتـى نتدخل في السياسـة! ونناقـش موضوعاتها أو نتخذ مواقـف من قضاياها! هكـذا يضعفون ثقـة الناس فـي عقولهـم وافهامهم.

وكأن فهـم السياسـة حكـر على الحـكام المسـتبدين أما سـائر

(١) سيرة الأئمة، هاشم معروف، ج ١، ص٥٢٥.

النـاس فعقولهـم من الدرجـة الثانية وغيـر مؤهلين لفهم السياسـة واسـتيعاب قضاياهـا ! وفـي منطقـة الخليج هنـاك كلمـة يتداولها الأمـراء والشـيوخ الحـكام ويواجهون بهـا أي مواطـن يتجرأ على مناقشـة موضـوع يرتبط بالوطـن والشـعب: (الشـيوخ أبخص)!! أي الأمـراء والشـيوخ اعرف وافهـم منك!!

وفي السـنة الماضية سـئل احد الحكام المسـتبدين في المنطقة مـن قبل احـد الصحفيين: لمـاذا لم تضعـوا لدولتكم بعد دسـتورا ولم تشـكلوا برلماناً؟

فأجـاب ذلـك الحاكـم العميـل بمـا مضمونـه: إن وضـع الدسـتور يحتـاج إلـى كفـاءات علميـة وقـد انتظرنـا حتـى تتربـى تلـك الكفـاءات وسنشـرع الآن فـي دراسـة الموضـوع!

نعـم ليـس فـي الشـعب كفـاءات تـوازي كفـاءات الحـكام والأمـراء! وإلـى أن توجـد فـي البـلاد كفـاءات يجـب أن يبقـى الشـعب محكومـا بأهـواء وشـهوات الحـكام المسـيطرين عليه!!

إنهـم يسـتهزئون بالناس ولا يرون لهم قيمـة أو كفاءة، ويوحون للنـاس بأنكـم لا تفهمـون ولا تدركـون فالفهم والمعرفـة مقصور علـى أبناء الأسـرة الحاكمـة ومن لاذ بهـم فقط!!

والعجيـب فـي الأمر أن بعض النـاس يصدقون هذه السـخافات ويرون أنفسـهم اقل من أن يفهموا قضايا السياسـة أو شـؤون البلاد.

السياسة عبادة

الآن وبعد أن عرفنا حقيقة السياسة وموقعها في الإسلام وتعرت أمامنا الأفكار الاستعمارية والرجعية الساذجة التي تدعو إلى اعتزال السياسة والابتعاد عنها، وتزعم بهتانا أن لا دخل ولا شأن للإسلام بالسياسة..

يهمنا الآن التعرف على الواجبات الأولية للإنسان المسلم في المجال السياسي وذلك ضمن النقاط التالية:

على الإنسان المسلم أن يهتم بالأخبار والأحداث وخاصة المتعلقة بأوضاع الأمة الإسلامية ذلك أدنى مستوى للاهتمام بأمور المسلمين وقد جاء في الحديث الشريف المشهور: (من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)!

والقرآن الحكيم يحدثنا عن مدى اهتمام المسلمين الأوائل بالأحداث السياسية الدولية لما يحسون لها من ارتباط بواقعهم وأضاعهم. ففي بداية الدعوة الإسلامية، والمسلمون كانوا ولا يزالون قلة مضطهدة في مكة.. حدثت حرب عالمية بين الدولتين العظميين آنذاك دولة الفرس ودولة الروم، وانتصر فيها الفرس الوثنيين حينئذ على الروم المسيحيين.. وإذا بالمسلمين وهم قلة مستضعفة في مكة يتابعون الحدث ويتفاعلون معه، فيتألمون لانتصار الفرس على الروم..

وباعتبار أن الروم كتابيون لهم نبي وكتاب، فهم اقرب إلى المسلمين من الوثنيين.. ولم يقل المسلون يومذاك: ما شأننا بتلك الحرب؟ وماذا يهمنا منها؟ فهم يعرفون تشابك العالم والتأثيرات المتبادلة فيه، فيولون الحرب اهتماماً كبيراً رغم ما هو فيه من وضع حساس واضطهاد تحت سيطرة كفار قريش.. وإذا بالقرآن يشاركهم هذا الاهتمام ويشجعهم عليه فتأتي سورة كاملة من القرآن يكون عنوانها اسم تلك القوة المنهزمة في الحرب والتي يتعاطف معها المسلمون.. وتنصب الآيات الأولى من السورة حول التعليق على نتائج المعركة والتوقع المستقبلي لها.. إنها سورة (الروم) والتي تبدأ بالآيات التالية:

﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

اتخاذ موقف إسلامي تجاه القضايا السياسية، فكل مسلم يتحمل مسؤولية الدفاع عن الإسلام ومصلحة المسلمين، ومطالب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فواجب عليه في القضايا المصيرية أن يتخذ الموقف الشرعي تجاه أي

(١) سورة الروم، الآيات:١-٥.

حـدث.. وذلـك الموقـف قد يكـون على شـكل تأييد أو اسـتنكار أو تظاهـر أو إضـراب.. وحينمـا يمـارس المسـلم موقفـا سياسـيا مـن هذا النـوع لمصلحـة الإسـلام والمسـلمين فإنه بذلـك يؤدي عبـادة شـرعية يثـاب عليهـا.. وكمـا يقـول الإمـام الخميني:

(الإسلام دين عبادته سياسة وسياسته عبادة)[1].

ويعتبـر الإمـام الشـعارات السياسـية الموجهـة ضـد العمالـة والظلـم شـعارات إسـلامية:

(يجب علـى طلبة العلـوم الدينية والقطاع الطلابي أن يسـتغلوا جميـع الفـرص لترسـيخ شـعار (المـوت للشـاه) الـذي هـو فـي الحقيقة شـعار إسـلامي)[2].

وفـي بيانـه تعليقـاً علـى مظاهـرات عيد الفطـر في طهران سـنة ١٣٩٨ يعطـي الإمـام الهتافـات الثوريـة قيمة العبـادة الدينية:

(لقـد مارس الشـعب الإيراني عقيـب إقامة صـلاة العيد، عبادة قيمـة أخـرى تلـك هـي الهتافـات المدويـة ضـد النظـام الجبـار، سـارق حقـوق وممتلـكات الشـعب، ومـن أجـل إقامـة الحكـم الإسـلامي العـادل حيـث إن العمـل والسـعي مـن اجـل ذلك هو

(١) مجلة الشهيد، عدد ٢٧، ص٤.
(٢) دروس، ص٣٦٥.

من أعظم العبادات)[1].

نشر الوعي السياسي في صفوف الجماهير، لتكون متنبهة لخطط الاستعمار متصدية لنفوذه.. ومشكلة الأمة هي عدم توفر هذا الوعي بالمستوى المطلوب في صفوفها، وإلا لما استطاع الاستعمار أن يجد بينها موطئ قدم.

(فلو أن هذا العدد الضخم (سبعمائة مليون أو أكثر من ذلك) من المسلمين مع بلادهم الواسعة والغنية هذه كان يمتلك وعيًا سياسياً وتحكمه وحدة إسلامية شاملة ويقف في صف واحد رصين، لما استطاعت الدول الكبرى الاستعمارية التغلغل في بلاد المسلمين)[2].

من هنا فمسؤولية كل فرد مسلم أن يساعد على نشر الوعي السياسي في مجتمعه وبشكل خاص يتوجه الإمام الخميني إلى الفئات الدينية والمثقفة ليحملها مسؤولية بث الوعي السياسي في صفوف جماهير الشعب. في احد دروسه لطلاب العلوم الدينية يقول:

«عليكم إلى جانب المسائل العبادية أن تبينوا للناس المسائل

(١) المصدر نفسه، ص٣٧٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

السياسية في الإسلام»[1].

وفي موارد أخرى يكرر الإمام قائلاً:-

«وعلى العلماء والخطباء أن يشرحوا لأبناء الشعب في المساجد والمحافل والمؤامرات التي تحيكها السلطة وراء الكواليس..»[2].

«وعلى الفئات المثقفة من الكتاب والخطباء ـ ومهما كان زيهم ـ أن يفضحوا جرائم النظام الكثيرة بالقلم واللسان..»[3].

العمل بجد وصمود لتطبيق أنظمة الإسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية على أنقاض حكم الطواغيت العملاء.. وهذا ما سنتحدث عنه في حلقات قادمة إنشاء الله.

(١) الحكومة، ص ١١٠.
(٢) دروس، ص١٧٣.
(٣) دروس، ص٣٦٥.

فلنحطم الأغلال

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

الإنسان بطبيعته لديه طموح التقدم والوصول إلى الأفضل، وبطبيعته يتعشق الحرية، ويرفض أي محاولة لتكبيل حريته، وإخماد طموحه للتقدم.

والحيوان كذلك يتمسك بحريته ويدافع عن نفسه في وجه أي اعتداء يتحسسه ويشعر به.

فلو اعتدى احد على احد الحيوانات كالكلب أو القط أو ما شابه بالضغط على ذيله أو بضربه مثلا، فانه سوف لن يحني

(١) سورة الأعراف، الآية:١٥٧.

رأسه ويسكت على الاعتداء.. وإنما سيقوم بعمل يعبر عن رفضه واعتراضه ورد فعله تجاه الاعتداء. فيرفع صوته صارخاً، أو ينفلت هارباً أو يرفس أو يعض..

ولو صودرت حرية احد الطيور فحبس في قفص أو شبك، فغنه الآخر سوف لا يتقبل بمصادرة حريته.. انه سيصيح وينزعج ويحرك أجنحته ويصطدم بأعمدة القفص، ويقوم بأي عمل أو رد فعل يعبر به عن رفضه واحتجاجه..

وإذا كان الحيوان بطبيعته هكذا، فكيف بالإنسان؟

هل من المعقول أن يعتدي عليه فيسكت؟ أو تسرق حريته فيرضخ ويرضى؟

بالطبع: كلا.

أنه حتى الطفل الصغير يقاوم الاعتداء، ويدافع عن حريته وحقوقه..

جرب أن تنهب من يد الطفل شيئاً لترى كيف ينفجر صراخاً وبكاءً!!

أو تقييده عن الحركة لترى كيف يرفض ذلك بمختلف الحركات والوسائل التي يستطيعها!!

لقد أودع الله تعالى هذه الطبيعة في نفس الإنسان، كما زرع

في جسمه حاسة اللمس، فحينما تلامس يدك شيئاً حاراً فانك تتحسس تلك الحرارة ويصدر منك رد فعل تجاهها.. على نفس المستوى يكون تحسس الإنسان لاصطدامه بما يعيق حريته ويعترض طموحه.

وإذا كان الإنسان من طبيعته الطموح وتعشق الحرية، وليده قدرة ذاتية على رفض الاعتداء ومقاومة الاستعباد، فبماذا تفسر ظاهرة وجود مجتمعات من البشر ينعدم عندها طموح التقدم، وتخمد لديها إرادة المقاومة؟

يستعمرها الآخرون فتخضع لذلك! ويعتدي عليها فتسكت على الاعتداء! ويفرض عليها التخلف فتتقبله بصدر رحب؟

فهناك الكثير من الشعوب التي تصفق لجلاديها!!

وهناك قصة توضح ذلك:

أن رجلاً صفع آخر بشدة فانحنى المضروب ليقبل إقدام الضارب المعتدي ويقدم له الشكر بخضوع وامتنان!

إن هذا المثال يحكي الكثير من وضع شعوبنا المستضعفة التي يتحكم فيها جلاد مستبد معتدي، يسحق حريتها وكرامتها، وهي ساكتة عنه ومستسلمة له، تقبل يده وتصفق له، وتسمع أمره!!

إن هـذا الوضـع شـاذ يتنافـى مـع طبيعـة الإنسـان، فالمجتمـع الـذي يسـكت علـى الظلـم، ويخضـع للاعتـداء، ولا يدافـع عـن حريتـه وكرامتـه، مجتمـع مريـض، وشـاذ، حيـث أن الوضـع الطبيعـي للإنسـان هـو المجابهـة والرفـض لمـا يعتـرض طموحه وتقدمـه. أمـا قبـول التخلـف والترحيب بالاسـتعمار والاسـتعباد فهـو مـرض وشـذوذ.

وهـذا يذكرنـا بموقف شـيوخ الخليج أيـام السـيطرة البريطانية المباشـرة علـى الخليـج، فقـد أعلنـت بريطانيـا عـن عزمهـا على الانسـحاب مـن أمـارات الخليـج، وحـددت فتـرة انسـحابها.. ولكن المذهل أن شـيوخ الخليج ذهبوا والتمسـوا مـن البريطانيين أن يؤجلـوا انسـحاب قواتهـم مـن الخليج بحجة أن ذلك سـيخلق فـي المنطقـة فراغاً عسـكرياً!! وحينما اعتـذرت بريطانيـا بأن بقاء قواتهـا فـي الخليـج يكلفهـا نفقـات ماليـة لا تسـتطيع أن تتحملها ميزانيتهـا الاقتصاديـة، أبـدى أمـراء المنطقـة اسـتعدادهم لدفـع تكاليـف بقـاء القـوات البريطانيـة حتى تسـتمر فـي التواجد!!

هـل هـذه حالـة طبيعيـة يقبلهـا عقـل الإنسـان وتنسـجم مـع فطرتـه، أن تدفـع للعـدو ثمـن اسـتعماره لـك!

ولكـن ما هو سـر وأسـباب هـذه الحالـة المرضية النـي اعترت مجتمعاتنـا فأفقدتهـا الإحسـاس بكرامتها، وأخمـدت لديها روح

التقدم وطموح التحرر والاستقلال.. لماذا حدثت وتحدث هذه الحالة عند بعض الشعوب؟

إن جذور المشكلة ترجع إلى وجود الأغلال والقيود التي تكبل روح الإنسان فتمنعه من التحسس الطبيعي، والانطلاقة الفطرية، وتجعله مستسلماً للواقع السيئ خاضعاً لما يجري ويدور حوله، متنازلاً عن كرامته وحريته..

ولقد كان المجتمع الجاهلي في مكة وأطراف الجزيرة العربية قبيل إشراقة الإسلام يعيش بهذه الحالة المزرية السيئة، لكنه أصبح بعد حين خير أمة أخرجت للناس.

فما الذي صنعه الرسول ﷺ لإزالة تلك الحالة المرضية من ذلك المجتمع؟

لا بد أنه شخص المرض أولاً، وعرف موضع الداء.. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

كان المجتمع الجاهلي مكبلاً بالأغلال والقيود، وجاء الرسول الأعظم فحطك وكسّر تلك القيود والإصر (إصرهم يعني العقد المربوطة التي تمنعهم الحركة) وحينئذ انطلق ذلك

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

المجتمع يشق طريقه نحر الحرية والتقدم.

والآن حينما ننظر إلى مجتمعاتنا وشعوبنا وهي تعاني من التخلف والانحطاط وسيطرة الطواغيت فإن واجبنا حينئذ أن نهتم بأسباب هذه المعاناة وجذور هذا الواقع.

فالمشكلة لا تكمن في سيطرة حكومة العمالة والطاغوت بل إن وجود هذه السلطة إنما هو مظهر ونتيجة لتلك الأسباب الحقيقية والجذور الممتدة في أعماق حياة الشعب.

وليست المسألة أن القوى المستكبرة في العالم لا تريد لنا التحرر والاستقلال.. أنها أعمق من ذلك..

وما حدث في إيران هو اكبر دليل على هذا الأمر.. فقد كانت الحكومة الشاهنشاهية أسوأ نموذج للحكم الطاغوتي والسلطة العميلة.. وكانت أمريكا وإسرائيل مصممتان على الاحتفاظ بنفوذهما في إيران كقاعدة متقدمة.

ولكن شعب إيران البطل توفق لمقاومة هذا الواقع الفاسد وانتصر عليه.. فلماذا لا تقاوم سائر الشعوب؟

إن المشكلة الحقيقية تكمن في وجود الأغلال والقيود التي تكبل شعوبنا وجماهيرنا فتمنعها عن الانطلاق والمقاومة.

انك لو قيدت شخصًا بالحديد أو ربطته ربطاً وثيقاً بالحبال

ثـم صرخـت بـه: قـم، تحـرك، اركـض فهـل سـيكون قـادرًا على الاسـتجابة والانطلاق؟

بالطبع: كلا، إلا إذا استطاع تحطيم قيوده وفك أغلاله.

قـد يخطئ تفكيـرك فتتصور أن سـبب عدم انطلاقته واسـتجابته هـو: وسـاخة ثيابـه! وتعمـل لتوفيـر ثـوب جديـد نظيـف لـه، ثـم تلبسـه إيـاه وتصرخ بـه: انطلـق، اركـض، تحرك.

فهـل سيسـتطيع التحـرك بعـد أن ألبسـته ثوبـا نظيفـاً والأغلال والقيـود لا تـزال تشـد رجليه؟

وقـد يشـط بـك التفكيـر مـرة أخـرى فتعتقـد أن سـبب عـدم تحركـه وانطلاقـه هـو فـراغ جيوبه مـن النقـود!! فتجمع لـه مبلغاً جيـدًا مـن المـال وتودعـه في جيبـه.. ولكنـه أيضًا لـن ينطلق ولن يسـتطيع التحرك.

إن السـبب الوحيـد لعـدم انطلاقـه هـو الأغـلال والقيـود التي تكبـل يديـه ورجليـه وإذا أردت منـه أن ينطلـق فارفـع عنـه أغلاله وقيـوده، أو علمـه طريقـة فكهـا والتخلـص منها.

إن هنـاك مـن يعتقـد بـأن سـبب تخلـف مجتمعاتنـا هـو قلـة الكـوادر والكفـاءات العلميـة، وطريـق التقـدم والتحـرر عنـد هـؤلاء هو توفيـر الخبرات في مختلـف مجالات العلـم والمعرفة

كالطب والهندسة والجيولوجيا..

ولكن ما قيمة الخبرات العلمية في أجواء التخلف والانحطاط؟ إنها إما أن تنتقل لتعيش في الدول المتقدمة كما هو الحال الآن حيث تعمل مجموعة ضخمة من الكفاءات والخبرات الإسلامية في خدمة الدول الغربية والشرقية المتقدمة.

وإما أن تصبح جزءاً من حياة التخلف! فكم من عالم وخبير تحول إلى أداة يستخدمها الاستعمار ويحركها ضد مصالح شعبه ووطنه؟

وإما أن تكبت تلك الكفاءات ولا يفسح لها مجال التحرك والعمل!!

كل هذا يحدث ما لم تعالج وتجتث الجذور الحقيقية للتخلف.. تلك الجذور التي تتمثل في الأغلال والقيود التي تكبل مجتمعاتنا وشعوبنا.

ما هي تلك الأغلال؟

مـا هي تلـك القيـود والأغلال التـي تكبـل مجتمعاتنـا فتمنعها مـن التحـرر والانطلاق؟

إنها أنواع ثلاثة من الأغلال والقيود:

- الأغلال الفكرية والثقافية.
- الأغلال النفسية.
- الأغلال الاجتماعية.

ولتوضيح الفكرة وتقريبها نأتي بهذا المثال:

تصـور نفسـك جالسـاً فـي قاعـة محاضـرات وهنـاك مهمـة خـارج القاعـة تدعـوك للخـروج ولكنـك قـد لا تسـتجيب لهـذه المهمـة، وتمتنـع عـن الخـروج لأحـد الأسـباب التاليـة:

أنـك تحمـل ثقافة صحية طبيـة، تعرف من خلالهـا أن الخروج

المفاجئ من مكان دافئ إلى جو مكشوف بارد قد يسبب لك صدمة هوائية، أو تصيبك الأنفلونزا، أو أي مرض آخر.. ولأنك مقتنع بهذه الفكرة فانك تمتنع عن الخروج.

أو لأنك تخشى وجود حيوانات مفترسة، أو تخاف ترصد بعض الأعداء لك، خارج القاعة فتمتنع عن الخروج.

وقد يكون سبب امتناعك عن الخروج هو عدم انتهاء المحاضرة مما يسبب انزعاج المحاضر وإلفات أنظار السامعين وبالتالي عدم ارتياحهم من خروجك أثناء المحاضرة ولهذا تمتنع عن الخروج.

ولو لاحظت ـ عزيز القارئ ـ هذا المثال لوجدت أن سبب عدم الخروج في المرة الأولى هو وجود فكرة يعيقك الإيمان بها عن الخروج، وهذا مثال لعائق الفكري.

بينما في المرة الثانية كان السبب هو التخوف من وجود الحيوانات المفترسة أو الأعداء وهو حاجز نفسي.

أما المرة الثالثة فإن ما يمنعك من الخروج هو وجود أعراف وتقاليد اجتماعية تمنعك مراعاتها عن المبادرة إلى الخروج.

ولنتحدث الآن بشيء من التفصيل عن هذه الأغلال والقيود بأنواعها الثلاثة:

الأغلال الفكرية

يختلف الإنسان عن حيوان في أن الثاني يمارس نشاطه وحياته بشكل غريزي فطري.. لا مجال فيه للاختيار والتغيير والتطور، ولذا لا نجد أي اختلاف أو تغير في حياة وممارسات الحيوانات التي تعيش من حولنا بل إن كل صنف منها يعيش على نسق معين منذ ملايين السنين دون أي اختلاف بين أفراده.

بينما أعمال الإنسان وممارساته ونشاطاته تخضع لإرادته واختياره، ولذا يختلف أفراد الإنسان في أعمالهم وممارساتهم ويطرأ التغيير والتطور في سلوك البشر ونشاطاته.

ولأن الإنسان مريد مختار، ولأن الله تعالى قد زوده بالعقل فإن قدراته وأعماله وسلوكه تتأثر بأفكاره وثقافته..

ولذا نرى أن فكرة معينة تجعل إنسانا ينحني ويسجد لصنم منحوت من الصخر أو الحديد.. بينما فكرة مضادة تدفع إنسانا آخر لحمل الفأس وتكسير ذلك الصنم وتحطيمه..

ويصور لنا القرآن الحكيم مشهداً تاريخياً حول هذا الموضوع في حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه..

فيقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ

قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

إن اختلاف تفكير إبراهيم ـ الذي أتاه الله رشده ـ عن تفكير قومه المقلدين لآبائهم وأجدادهم هو سبب اختلاف موقف الطرفين تجاه الأصنام والتماثيل.. بينما يخر قومه لها سجدا وتقديسا اخذ هو الفأس وقام بتحطيمها.

ورأينا في مجتمعاتنا كيف أن أفكارا معينة دفعت بقسم من الجماهير للانتفاضة والتحرك ضد السلطات بينما أفكار أخرى مضادة جعلت قسما آخر من المجتمع يتشبث ويرتكس في أوحال الذل ومستنقعات الجمود.

أذكر أن أحد الشباب كان قد شارك في الانتفاضة بدور جيد ولكني سمعت عنه بعد أن التحق بإحدى المدارس الدينية الرجعية أنه اتخذ موقفًا مضاداً لحركة الشعب وانتفاضة الجماهير وأصبح نادمًا على نشاطه الثوري السابق، لأن الوسط

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٥١- ٥٨.

الرجعي الذي انتقل إليه استطاع تغيير أفكاره فتغير تبعًا لذلك موقفه ونفسيته..

من هنا ينصب اهتمام الأنبياء بادئ ذي بدء على تصحيح رؤية الإنسان للكون والحياة وعلى تطهير فكره من الخرافات والأساطير.. فمسألة الإيمان في برنامج الرسالات السماوية دائمًا متقدمة على العمل الصالح فأولاً ﴿الَّذِين آمَنُواْ﴾ وبعد ذلك ﴿ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ .

والإيمان يعني شيئين على الصعيد الفكري: رفض الأفكار الخاطئة والآراء المنحرفة هذا أولاً والاقتناع والاعتقاد بالمبادئ والأفكار الصحيحة والسليمة يقول تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ ﴾[1].

وتلخص هذه الحقيقة كلمة التوحيد التي تبدأ بالرفض (لا إله) وتنتهي بالإيمان بالحق وحده (إلا الله).

ويؤكد الإسلام على ضرورة اليقظة والانتباه من تسرب الخرافات والأفكار الخاطئة إلى فكر الإنسان المسلم وهناك نورد منها المقتطفات التالية: ففي القرآن الحكيم يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ*الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾[1].

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[2]. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾[3].

وعن الإمام علي عليه السلام:

- «وَ وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ».
- «مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَإِ».
- «وأضربوا بعض الرأي ببعض تتولد منه الصواب وامخضوا الرأي مخض السقاء».
- «وأضمم آراء الرجال، واختر أقربها إلى الصواب وأبعدها عن الارتياب».
- «العاقل من اتهم رأيه ولم يثق بكل ما تسوّل له نفسه».
- «كفى بالمرء غروراً أن يثق بكل ما تسوّل له نفسه».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وإياك والرأي الفطير»[4].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.
(٣) سورة النجم، الآية: ٢٣.
(٤) جميع النصوص من كتاب الحياة ج١.

ومع كل هذه التأكيدات من قبل الإسلام للحفاظ على سلامة وصيانة عقل الإنسان من تسلل الأفكار الخاطئة والخرافات وأساطير الجهل.. ولكن مع الأسف الشديد لو أخضعنا كل الأفكار السائدة في مجتمعاتنا والتي تؤثر في سلوك الناس وتشكل خلفية مواقفهم وممارساتهم . لو أخضعناها لفحص مختبري دقيق لوجدنا أن نسبة كبيرة من هذه الأفكار قد تصل إلى حدود ٥٠٪ تقريبًا هي أفكار سلبية خاطئة، وتصورات جاهلية منحرفة!!

والأدهى في الأمر أن هذه الأفكار الخاطئة السلبية تمتلك قداسة وحماية في نفوس الناس وأذهانهم حيث يعتبرونها جزءاً من الدين. بينما هي تقف في جهة مضادة لأفكار الدين ومفاهيمه، والدين منها بريء كبراءة الذئب من دم يوسف!!

وتشكل هذه الأفكار السلبية الخاطئة شبكة واسعة تغطي مختلف جوانب الدين والحياة.. بدءاً من مجال العقائد الدينية وانتهاء بالسلوك الشخصي.. مروراً بالعلاقات الاجتماعية والمواقف السياسية وأساليب التربية..

أما كيف نشأت هذه الأفكار الخاطئة في أجواء أمتنا الإسلامية التي انعم الله عليها بهدى الإسلام وقرآنه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

وكيف نميز هذه الأفكار السلبية ونكتشفها؟ وما هو الطابع العام لها؟

فهذا ما تجيب عليه السطور التالية:

الأفكار اللا مسؤولة[1].

كيف ولماذا؟

لماذا وكيف انتشرت الأفكار اللا مسؤولة في الأمة؟

وكيف يمكن فضحها وتعرية زيفها من أجل إنقاذ الجماهير منها ؟

في ضمير (الإنسان ـ الفرد) تتصارع قوتا العقل والشهوات، يدعوه العقل إلى الله والخير والجمال والحق والتحرر، بينما تدعوه الشهوات إلى اللذة العاجلة والتسرع والإفراط.

وفوق العقل والشهوات تعلو إرادة الإنسان التي تعتبر بمثابة حاكم قوي يحسم الموقف لصالح إحدى القوتين.

وحين ي ختار الإنسان جانب العقل فأين تذهب الشهوات؟

هل تندحر كما يندحر ظلام الليل حين تشرق شمس النهار؟

كلا.. إن الشهوات تبقى توسوس في قلب الإنسان ويحتاج

(١) فقرة من كتاب الثقافة الرسالية.

الإنسان إلى سلاح يحارب هذه الوسوسة، ذلك السلاح هو (التسلية).

ماذا تعني التسلية؟ وكيف تتم عند الإنسان؟ دعنا نجسدها في حوار يجري عادة داخل الضمير:

العقل: هذا وقت الصلاة، اذهب إلى المسجد.

الشهوات: ولكنك جائع، اذهب إلى البيت للغذاء.

الإرادة: كلا سأذهب إلى المسجد.

هنا تعود الشهوات توسوس، وتقوم الإرادة بالتسلية.

الشهوات: كلا إنك جائع كيف تصلي وأنت جائع؟

الإرادة: بلى ولكن سوف أتغذى بعد الصلاة، ثم أن الله اعد جنة عدن فيها ما تشتهيه النفس من الأكلات الطيبة وغيرها، وجعلها للمطيعين من عباده، ثم ماذا تنفع أكلة عاجلة تعقبها ندامة ونار في جهنم.

هذه التسلية تأتي حين يختار الإنسان جانب العقل، ولكن كيف إذا اختار جانب الشهوات؟ هنالك يبقى العقل يوخز الضمير، فماذا تصنع الإرادة؟ إنها تقوم بعملة (التبرير) والتي تشبه عملية (التسلية).

فالتبرير يحدث لإسكات دعوة إلى الحق ونبذ الباطل..

دعنا نعيد الحوار المتقدم بطريقة ثانية.

العقل: هذا وقت الصلاة.

الشهوات: بل هذا وقت الغذاء.

الإرادة: نعم اذهب إلى الغذاء.

العقل: ولكن كيف تجيب ربك؟

الإرادة: أولاً يمكن تأخير الصلاة. وثانياً قبل أن نموت سوف نتقرب إلى الله. وثالثاً: من يقول أن الصلاة واجبة على الجائعين؟

وفي الواقع الاجتماعي كما في الواقع الفردي حين يتوانى المجتمع عن واجباته يقوم بتبرير هذا التقاعس، والأفكار التي ينتجها هذا المجتمع تكون ـ عادة ـ تبريرية.

وكل فكرة تبريرية هي فكرة باطلة. وذات أثر سيء في تقدم الإنسان، لأن الدوافع التي تكون وراءها هي دوافع ذاتية خبيثة.

والأفكار التبريرية لا تستطيع أن تكون خلاقة، لأنها جاءت وليدة اختيار الإنسان، فهي اضعف من أن تكون قادرة على صنع واقع جديد.

والأفكار التبريرية ذات صبغة أممية، إذ تمر على كل امة بحين من الدهر تنتشر فيها روح اللا مسؤولية والكسل،

وتتشبث لتبرير هذه الحالة بأفكار معينة.

هذه الأفكار نستطيع أن نسميها بالأفكار الصوفية والتصوف في التاريخ هو الاسم الذي كان يطلق على السلبية الكاملة في الحياة تماماً مثل (الهيبز) في العالم الغربي اليوم.

والأفكار الصوفية نجدها في كل أمم الأرض، لان كل أمة لا بد أن تكون قد مرت بفترة جمود وتقاعس فتشبثت بأفكار تصوفية لتبرير جمودها وتقاعسها[1].

عينات من الفكر السلبي

كما قلنا فإن الفكر السلبي إخطبوط يمد سيقانه البغيضة إلى كل مجالات الدين والحياة، ولو أراد إنسان خبيرا، يستعرض كل تلك الأفكار الرجعية المتخلفة لكان عليه أن يؤلف موسوعة مصنفة حسب حروف الأبدية أو حسب المواضيع!!

من تلك الأفكار السلبية على سبيل المثال نذكر العناوين التالية:

- فكرة الجبر التي تسلب الإنسان إرادته وحريته واختياره وأنه كائن مسير في حياته وعمله ولا رأي له ولا دخل فيما يصدر منه!!

(١) الثقافة الرسالية.

- فكـرة الفصـل بين الديـن والسياسـة وان الديـن لا دخل له في السياسـة ولا شـأن لـه معها.
- فكـرة تحريـم تفهـم القـرآن والتدبـر فـي آيتـه وأن ذلـك محصـور فـي العلمـاء الكبـار.
- فكـرة تقديـس كل الصحابـة ورجـال السـلف دون النظـر إلـى سـلوكهم ودورهـم.
- فكـرة التقيـة بمعناهـا المحـرف الـذي يعنـي الاستسـلام والـذل والخنـوع.
- فكـرة انتظـار الفـرج وخـروج الإمـام بمعنـى الجمـود والسـكوت وعـدم تحريـك سـاكن.
- فكـرة تقديـس علماء الديـن مهما كان دورهـم الاجتماعي والتزامهـم الديني وخطهم السياسـي.

إلى ما هنالك من أفكار كثيرة من هذا النوع.

إن هـذه الأفكار تشـكل أغـلالًا وقيـودًا تمنع جماهيـر امتنا من التحـرك والانطلاق..

فقـد تغـذي هـذه العوامـل لـدى الإنسـان توجهـات معينـة أو تنمـي لديـه ميـولاً خاصـة.

ولأن الغالـب مـن أبنـاء أجيـال أمتنـا المعاصـرة قـد انحدرت

مـن أجيـال التخلـف والانحطـاط، ولم تحـظ بتربية رصينـة، وأن البيئـة التي نشـأت فيها هـذه الأجيال تعـج بالفسـاد والانحراف.. ولذلـك فغـن الغالـب في نفسـيات أبنـاء أمتنـا الآن أنها نفسـيات تتوالـد فيها العقـد، وتتفشـى فيها السـلبيات.

فالأنانيـة والـروح المصلحية هي السـمة البارزة لنفـوس أكثرية أبنـاء الأمـة، حيث يعيشـون كالأنعـام بل أضـل سـبيلاً، لا تهمهم المصلحـة العامـة، ولا يدافعـون عـن حريتهـم ولا يتمسـكون بكرامتهـم.. بـل يحـرص كل فـرد علـى توفيـر الراحـة والمتعـة واللـذة لذاتـه غيـر عابـئ بواقـع أمتـه وأوضـاع مجتمعه.

والخـوف صـار ذلـك الشـبح المزيـف الـذي يلاحـق الواحـد منـا حتـى فـي أطيـاف نومه فيحـول الفـرد إلى جبـان ذليـل يعيش الازدواجيـة ويمـارس التملـق والنفـاق.. الخوف مـن الفقر.. من السـلطة.. من الفشـل.. مـن المشـاكل.. مـن المجهول..

والسـمة الأخـرى هـي (فقـدان الثقـة بالنفـس) حيـث يشـعر الإنسـان بأنه لا شـيء وأنه لا يسـتطيع القيـام بأي عمـل أو تحقيق أي تغييـر فـي الواقـع.. وأنـه الأضعـف فيجـب عليـه أن يخضـع لأيـة قـوة أخـرى وواقع مسـيطر..

هـذه العقـد النفسـية هـي أغـلال وقيـود تمنـع الأفـراد وتقعـد بالمجتمعـات عـن التقـدم والنهـوض.

إن الفـرد الأنانـي لا يمكـن أن يصبح ثائـرًا مضحيـاً.. والجبان لا يدافـع عـن حريتـه وكرامته..

ومـن يفقـد الثقـة بذاتـه ليـس حريـاً بتحقيـق النجـاح فـي أي مجـال..

الأغلال النفسية

حقاً ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

ذلك لأن نفس الإنسان بما تحمل من ميول وتوجهات تتحكم ليس فقط في سلوك الإنسان ونشاطاته بل تعدى ذلك للتأثير على عقله وتفكيره.

يقول العلامة المدرسي:

(يتصور الرأي السائد في المنطق أن مشكلة الإنسان في العلم، وهي مشكلة عقلية محضة، يمكن حلها بوضع قواعد لتنظيم عملية التفكير، إلا أن الحقيقة: أن المشكلة هي مشكلة نفسية، قبل أن تكون عقلية، ولذلك نحن بحاجة إلى معالجة النفس البشرية قبل أن نضع قواعد لعقله وتنظيم فكره.

ذلك لن النفس البشرية قد تستأثر بإرادة الإنسان وتوجهها

(١) سورة الرعد، الآية:١١.

إلى حيث تتحرك أهواؤها، وهنالك تبقى قدرة الإنسان على التفكير معطلة رأسا!! ولا تغنيه القواعد الموضوعة لتنظيم التفكير.

ومن هنا فإن علم النفس لا بد أن يدخل طرف مباشر في المنطق)[1]. وفي هذا المجال يقول الإمام علي عليه السلام: من لم يهذب نفسه لم ينتفع عقله[2].

إن نفس الإنسان ـ كما خلقها الله سبحانه وتعالى ـ تحمل استعدادات ضخمة ولكن المشكلة هي في تنمية تلك الاستعدادات وتوجيهها باتجاه الخير أو الشر..

يقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[3].

وللوراثة والتربية والبيئة دور فعال في تحديد توجهات نفس الإنسان وتنمية ميولها.

(١) كتاب المنطق الإسلامي، ص ١٨٧.
(٢) كتاب الحياة، ج١، ص ١٥٩.
(٣) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

الأغلال الاجتماعية

حينما يبتعد المجتمع عن القيم الإلهية الصحيحة، تترعرع في أجوائه وتسوده التقاليد والعادات والأعراف الخاطئة البالية.. ومع مرور الزمن تصبح لتلك العادات والتقاليد شرعية وقدسية يكون الخارج عليها محكوماً بالشذوذ والانحراف..

وهذا ما يعاني منه مجتمعنا اليوم فقد ابتعد عن ذلك تلك الآداب والأخلاق الاجتماعية الفاضلة التي شرعها الإسلام.. وأصبح فريسة لعادات وأعراف سيئة تعيق تقدمه وتسبب له المشاكل والأزمات..

وأبسط مثل نسوقه هنا ويتحسسه كل الإخوة هو مسألة (غلاء المهور).

هذه المسألة التي قد يظن المرء أنها قضايا شخصية ليست مهمة ولكنها في الواقع وراء الكثير من المشاكل والانحرافات التي تنشأ في مجتمعاتنا.

فقد شرع الإسلام (المهر) كهدية رمزية للمرأة عند الزواج.. وأكد الإسلام كثيرا على بساطة تلك الهدية (المهر) وعدم المبالغة فيه. فعنه ﷺ: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهًا وأقلهن مهرًا».

وعن الإمام علي عليه السلام: «لا تغالوا في مهور النساء فبكون عداوة».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «شؤم المرأة كثرة مهرها».

إلا أنه من المؤسف أصبح (المهر) في مجتمعاتنا كثمن للبنت يساوم الأهل ويجادلون لرفعه إلى أعلى مبلغ ممكن..

مما سبب في تأخير الزواج بالنسبة لقطاع كبير من الشباب والبنات.. لعدم استطاعة الشاب توفير مبلغ (المهر)!!

وبالطبع فإن تعطيل مشاريع الزواج ينتج للمجتمع مضاعفات كثيرة!!

وحتى لو فكر الآباء أن يزوج ابنته بمهر بسيط قليل فانه سيحسب حسابا لعتاب الناس وتعييرهم له ولخروجه على العادة المألوفة..

فلنحطم هذه الأغلال

إن أول خطوة يجب أن يقوم بها العاملون في سبيل تغيير واقع الأمة، وتحرير شعوبها هي تحطيم هذه الأغلال الفكرية

والنفسية والاجتماعية، لتنطلق جماهير الأمة في طريق الثورة والتغيير.

وإن التغاضي عن هذه الخطوة المهمة وتجاوزها إلى سائر الأعمال العسكرية والسياسية والإعلامية ليس اتجاها صحيحاً.. إلا بمقدار ما تخدم تلك الأعمال هذا الجانب الأهم.

وأي تغيير في نظام الحكم وشكله لا قيمة له إذا كانت الجماهير لا تزال ترزح تحت نير تلك الأغلال والقيود التي تكبلها.

وعجيب أمر بعض الحركات والأحزاب التي تتبنى التغيير الإسلامي والثورة بينما تسكت على وجود هذه الأغلال، فتتجاهل انتشار الأفكار السلبية ولا تعمل على مقاومتها، وتغضي عن ضعف ومرض نفسيات أبناء الأمة فلا تحاول معالجتها، وتعرض عن العلاقات الاجتماعية المتخلفة ولا تسعى لتصحيحها.

إن هذه الحركات تكرس جذور التخلف أما لعدم تشخيصها واكتشافها، أو لعدم جدية تلك الحركات في الثورة والتغيير..

نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا جميعًا إلى ما فيه الخير والصلاح..

حياة الأئمة والتاريخ المزيف

أمتنا الإسلامية وهي تتحسس ألم الواقع، فتطمح إلى سعادة المستقبل، لا بد لها من العودة إلى منابع دينها، ومصادر ثقافتها، لتستلم منها روح الحركة والنشاط، ولتقتبس منها نور العلم والمعرفة، ولتتزود منها بوقود التضحية والصمود..

ولكن ما هي المنابع الأصيلة والمصادر الرئيسية لديننا ورسالتنا؟

إنهما منبعان صافيان ومصدران عظيمان:

- القرآن الحكيم: كتاب الله.
- والأئمة القادة: عترة رسول الله ﷺ

وعن طريق الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يصلنا هدي الرسول ﷺ ونتعرف على سيرته وحياته.

وقد حدد الرسول الأعظم ﷺ بنفسه هذين المصدرين كمرجع رسالي للأمة عليها أن لا تتعداهما حيث قال في الحديث المشهور المتواتر: إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[1].

فالقرآن الكريم فيه الهدى والنور، والأئمة الطاهرون هم المشاعل التي تجسد فيها نور القرآن، والنماذج التي توفر فيها هداه..

وبذلك فالقرآن إمام على الصعيد النظري العلمي، كما عبر سبحانه عن كتاب نبيه موسى عليه السلام: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾[2].

والأئمة قران على مستوى التطبيق الممارسة. ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أنا كتاب الله الناطق..

ولأن مهمة القرآن ومهمة العترة مهمة واحدة وهي هداية الإنسان وإسعاده، فقد وصفت بعض النصوص المروية الإمام بأنه شريك القرآن.

زكما أساءت الأمة في عصور التخلف التعامل مع القرآن

(١) المراجعات للامام شرف الدين.
(٢) سورة هود، الآية:١٧.

كذلك أساءت التعامل مع تاريخ الأئمة وحياتهم، وكان ذلك سبب تخلفها وانحطاطها وشقائها.

اتخذوا القرآن مهجوراً

فقد كانت الآمة منذ عهود التخلف ولا تزال تتعامل مع القرآن وكأنه كتاب بركة وثواب، ولا تدخل له في شؤون الحياة.. وكان الاهتمام منصبا على ألفاظ القرآن وأبعادها البلاغية وطرق مخارج الحروف، وتنوع القراءات وإذا بالتفاسير تنبش أصول الكلمات، وتحول القرآن ـ حيناً ـ إلى ملعب مباراة في علوم الصرف والنحو والفقه واللغة. وحيناً إلى ساحة معركة بين سيبويه ونفطويه والاخفش وابن العصفور وإذا تجاوز التفسير كشفيات (الكشاف) في اللغة، وقع في وهميات (الرازي) في الفلسفة.

وجاء المفسرون الجدد يجعلون القرآن كتاب علوم، ومرجع اكتشافات، ويستنبطون من كل لفظة في القرآن مفتاح علم من العلوم!!

القرآن: كتاب رسالة.

كتاب حياة.

كتاب الإنسان

فأين تذهبون؟

ولكن القشريين لا يفهمون!

إنهم اتخذوا القرآن رسما ولم يعرفوا أنه لغة الحقائق، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1].

وإذا اهتدى واحد منهم سبيلاً لفهم القرآن أراد أن يفهم منه الآيات التي تكرس مصالحه في الحياة أولاً أقل لا تعارضها وترك سائر الآيات، أو أولها حسبما شاءت أهواؤه. وبذلك نتج الفهم التجزيئي للقران الحكيم، ذلك المر الذي عارضه القرآن بشدة وأوعد القائمين به اشد العذاب وقال: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا القرآن عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾[2].

إذا أراد التجزيئي فهم أية من اقتطعها من سياقها، وأراد أن يفهمها لوحدها وذلك لكي تكون له مطلق الحرية في التأويل فيما إذا عارضت أهواءه[3]..

علاقتنا مع الأئمة

هكذا تتعامل الأمة مع القرآن الحكيم المنبع الأعظم، والمصدر الأول من مصادر ثقافتها ورسالتها (ولسنا الآن بصدد

(١) سورة محمد، الآية ٢٤.
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩١-٩٢.
(٣) الثقافة الرسالية، ص٥٣.

التفصيل في الحديث عن هذا الموضوع) فكيف تتعامل مع الثقل الثاني عترة الرسول ﷺ أئمة أهل البيت؟

لا يسعنا أن ننكر أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين فئة كبيرة من جماهير الأمة وبين العترة الطاهرة..

فقوافل الزائرين تتوالى بكثافة على مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وإقبال جماهيري منقطع النظير على احتفالات مواليد الأئمة ومناسبات وفياتهم واستشهادهم..

وجهود كبيرة واهتمامات متزايدة تنفق باسم الأئمة وللاحتفاء بذكرياتهم..

هذه المظاهر موجودة ومتوفرة ولا سبيل إلى إنكارها ولكن يجب أن نتساءل: هل هذه المظاهر هي كل شيء ينبغي أن يكون في علاقتنا بالأئمة ولا شيء بعد ذلك؟ أن هذه المظاهر لها هدف آخر وغرض ثان تقوم هي بمهمة تعميقه وتكريسه في واقع حياتنا؟

وبعبارة أخرى:

هل هذه المظاهر من الاحتفالات والعزاء والزيارات، والإنفاق والبذل، هي الغاية المطلوبة لعلاقتنا مع الأئمة أم أنها

وسيلة لتحقيق هدف آخر أسمى وأعمق من هذه المظاهر؟

من المؤلم أن نعترف أن هذه المظاهر تحولت إلى هدف مقدس عند كثير من المهتمين بها بدل أن تكون وسيلة.. شانها في ذلك شأن أغلب العبادات والشعائر الإسلامية التي لا تعدو في اعتبار الإسلام أن تكون وسيلة لهداف عالية ولكنها تحولت إلى أهداف مزيفة بينما ضاعت الأهداف الحقيقية!!

وكان يجب أن تكون هذه الأمور مجرد وسائل تقودنا إلى الهدف المقصود من ارتباطنا بالأئمة عليهم السلام والذي هو التعرف الكامل على حياتهم وسيرتهم وسلوكهم من أجل تقمص شخصياتهم والاقتداء بهم! والاهتداء بهديهم.

ولكننا حينما اتخذنا الوسيلة هدفاً ضيعنا الهدف الحقيقي، وبالتالي فقد ضيعنا أنفسنا، ولم نحسن التعامل مع المصدر الثاني للإسلام ولم نعرف كيف نستفيد من الثقل الآخر للرسالة!!

فأصبحنا نقدس زيارة الأئمة من أجل رؤية قبورهم، ومشاهدة روعة أضرحتهم، وضخامة قببهم، وننظر أن يثيبنا الله على هذه الزيارة السياحية!!

وصار عزاء الأئمة مجالاً للعزاء واستدرار الدموع فقط دون أن يتفاعل ذلك مع أحداث حياتنا أو يؤثر في واقعنا الفردي

والاجتماعي!!

ونتيجة لذلك لم نعد نعرف الأئمة معرفة حقيقية (أي معرفة صحيحة وكاملة) مع أنها شرط أولى وأساسي لنجاح وقبول أي عمل تقديسي نقوم به للأئمة عليهم السلام فقد ورد في الحديث المشهور حول زيارة الإمام الحسين عليه السلام: من زار الحسين عارفاً بحقه...

وإذا لم تتوفر لجماهير الأمة المعرفة الحقيقية الكاملة لحياة الأئمة وسيرتهم، فهل سيمكنها الاقتداء بالأئمة والاهتداء بتعاليمهم؟

صحيح أن هناك كتباً وهناك خطباء يحاولون تعريف حياة الأئمة للجماهير، ولكن هذه المحاولات غالباً ما تصدق عليها الملاحظات التالية:

أين دور الأئمة

أولاً: أنها تركز على الجانب الشخصي من حياة الإمام، بينما تهمل الجانب الاجتماعي، فقد تستمع إلى خطيب ينقلك إلى معركة محتدمة بين المؤرخين حول تحديد يوم ولادة الإمام أو يوم وفاته!!

وقد تقرأ كتاباً يثير أمامك الخلاف والجدل حول نقش

خاتـم الإمـام أو عـدد زوجاتـه وأولاده!!

وأذكـر مـرة قبـل بضـع سـنوات اسـتمعت إلـى خطيـب كبيـر وهـو يحاضـر في اجتمـاع ضخك ليلـة الثامـن من المحـرم فكان موضـوع خطابتـه والذي اسـتمر لمـدة سـاعة كاملة حول مناقشـة قضيـة زواج القاسـم بـن الحسـن بن علي بـن أبي طالـب عليه السلام وهو أحد شـهداء ثـورة الإمام الحسـين عليه السلام حيث أجهد الخطيب نفسـه وعـرض مختلـف الأدلة العقليـة والتاريخية لإثبات كـذب الرواية القائلـة بأن القاسـم تـزوج يوم عاشـوراء!!

ثـم ذهبنـا إلـى مجلـس خطيـب آخـر لا يقـل عـن الأول مكانة وشـهرة وكثـرة اجتمـاع، فكانـت محاضرتـه تـدور حـول إثبـات زواج القاسـم بن الحسـن فـي يوم كربـلاء وتأكيد ذلـك بمختلف الأدلـة الشـرعية والتاريخية!!

قـد يتجـاوزون هذا المسـتوى إلـى الحديـث عن عبـادة الإمام وزهـده وعلمـه فقط.

ومـع احترامنـا وتقديرنا لـكل ما يتعلـق بحياة الأئمة وسـيرتهم ولكننـا نعتقـد أن الأهـم مـن ذلـك هـو الحديـث عـن المواقـف السياسـية ودورهـم الاجتماعي.

فالأئمـة مـا كانـوا يعيشـون فـي صحـراء نائيـة ولا علـى أبراج عاجيـة، ولا فـي عزلـة فـي جماهيـر الأمـة.. بـل كانـوا يعيشـون

في امة كانت حياتها تعج بالأحداث والحركات والتقلبات السياسية والاجتماعية.

كانت هناك في عصر الأئمة حكومات تقوم، وسلطات تسقط، وثورات تنجح، وانتفاضات تقمع، وتيارات تسود، وأفكار تنتشر..

كان هناك واقع سياسي واجتماعي يعيشه الناس تستفيد من ذلك الواقع فئة فتهب لحمايته والمحافظة عليه، فتتضرر منه فئة أخرى فتسعى لتغييره والثورة عليه..

فما هو موقف الأئمة من كل ذلك؟

أكانوا رهبانا منعزلين عن واقع الأمة وأحداث العالم؟

أم كانت لهم أدوار ومواقف يجب أن نبحث عنها ونتعرف عليها لنستفيد منها؟

وإذا كان الجواب الأول يشكل تهمة بشعة لا تتفق مع مسؤولية الأئمة ومكانتهم.. فإن الجواب الثاني هو الصحيح ولكن ماذا نعرف نحن عن دور كل إمام ومواقفه تجاه أحداث عصره، وقضايا مجتمعه؟؟

ولماذا أغفلنا الاهتمام بهذا الجانب المهم من حياة الأئمة ووجهنا اهتماماتنا إلى الجوانب الشخصية من حياتهم؟

لعل السبب في ذلك هو واقعنا المؤسف كمؤمنين ومتدينين اخترنا لأنفسنا والعزلة عن قضايا المجتمع ومشاكله، والتفرج على ما يحدث في العالم، متقبلين لما يصيبنا من نتائج هذه القضايا والأحداث.. مرددين ـ بسوء فم ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا﴾[1]!

ومستشهدين بالحديث القائل: «كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب»[2]!

ومتسلين بقول الشاعر:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا بما فعل القضاء

وحيث أننا نعيش هذه الحالة، فإن الحديث عن دور الأئمة الاجتماعي ومواقفهم السياسية، سيكشفنا أمام أنفسنا، وسيظهر انحرافنا عن خط الأئمة، وتناقض حياتنا وسلوكنا مع حياتهم وسلوكهم.. فصار من الأفضل لنا أن نغض الطرف عن هذه الجوانب من حياة الأئمة... لنستمر في التعايش والانسجام مع هذا الواقع الفاسد برضى وارتياح!

الأئمة بشر للاقتداء

ثانياً: والسمة الثانية من سمات العرض المشوه الناقص

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٢) نهج البلاغة، حكمة ١.

لحياة الأئمة وتاريخهم: إضفاء الطابع الغيبي والاعجازي على أغلب حركات الأئمة وتصرفاتهم!

فالأئمة كالأنبياء بشر لهم كفاءات البشر وطاقاته وغرائزه وعواطفه وإمكاناته الجسمية والذهنية، ولكنهم انتخبوا من قبل السماء كقادة وهادين وأئمة للناس، لتفوقهم على سائر الناس بالإخلاص لله والجهاد في سبيله بمعرفة ويقين ثابت.. فالانتخاب لم يكن عبثيًّا أو عشوائيًّا وبدون مقاييس ومبررات صحيحة يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

ولضخامة هذه المسؤولية ـ مسؤولية قيادة المجتمع البشري ـ ولأنهم ارتفعوا بأنفسهم إلى مستوى المسؤولية بالمعرفة والطاعة والخضوع لله تعالى، فقد كان الله سبحانه يمدهم بالعون والتأييد ويكشف لهم المغيبات، ويعطيهم القدرة على التصرف في الكون تصرفاً اعجازياً يخرج عن إمكان البشر، وقدرة الإنسان، وكل ذلك يخضع لإرادة الله ومشيئته وحكمته.

فحينما طلب المشركون من الرسول محمد ﷺ أن يصنع معجزات خارقة، وأن يحدث تصرفات غيبية، حسبما يريدون، أمره الله تعالى أن يجيبهم بأن ذلك يرتبط بإرادة الله وحكمته،

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

وليس الرسول سوى بشر محدود القدرة والتصرف، إلا بإذن الله يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾(١)

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا﴾(٢)

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً﴾(٣)

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾(٤)

وهكذا كان يرد كل الأنبياء على تصورات الناس الخاطئة بأن النبي يجب أن يكون من طبيعة أخرى غير طبيعة البشر، ونوع حياته لا بد أن تختلف عن حياة البشر: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾(٥) .

إن الله تعالى بحكمته أن يكون الأنبياء والأئمة من جنس

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٠.
(٢)سورة الإسراء، الآية: ٩١.
(٣)سورة الإسراء، الآية: ٩٢.
(٤)سورة الإسراء، الآية: ٩٣.
(٥)سورة الفرقان، الآية: ٧.

البشر وطبيعتهم، ليكونوا حجة عليهم وقدوات لهم..

ولكن التصورات البشرية الطفولية كانت تصر على أن يكون في طبيعة أخرى يتحرك بالمعجزة ويعيش بالطرق الغيبية.. فكان جواب الأنبياء في مقابل هذه التصورات ما يحكيه تعالى في القرآن الحكيم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَعلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1]

ومعنى ذلك: أن الطابع العام لسلوك الأئمة وتصرفاتهم هو الطابع البشري الطبيعي إلا في بعض الموارد الاستثنائية يلجأ إلى المعجزة والتصرفات الغيبية بإذن الله تعالى ووفق حكمته.

ولكن البعض يتطرف فيضفي على جميع أعمال الإمام وتصرفاته طابع الغيبية والإعجاز حتى في الأشياء البسيطة التي لا تخرج عن قدرة البشر وإمكاناته! حتى ليقدم لم حياة الإمام وكأنها قطعة من الإعجاز والغيب.

وحينما نعرض للناس حياة الإمام كقطعة من الإعجاز وهالة من الغيب هل يمكننا أن نطلب من الناس تقمص حياة الإمام، وتطبيق سلوكه، ومتابعته في تصرفاته؟

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

فسيجد الناس أن الإمام مخلوق من نوع آخر لا يمكن للبشر تقليده... وهذه فكرة أصبحت شائعة لدى الناس فما أن تذكر لشخص متدين موقفا لأحد الأئمة وتطالبه بالاقتداء به حتى يبادرك قائلاً: ذلك إمام معصوم أتريد مني أن أكون مثله؟

وما أن تحتج على فرد بتصرف أو عمل إمام حتى يرد عليك بقوله: ذلك تصرف إمام يتصرف بأمر الله ولعلم الله فليس ظاهر عمله حجة عليّ!

هذه الفكرة الخاطئة نتيجة طبيعية لذلك الأسلوب الشائع الذي يبرز حياة الأئمة، ويفسر تصرفاتهم بشكل إعجازي غيبي كامل..

وبالطبع لا يعني هذا الكلام تشكيكاً منا في معاجز الأئمة وكراماتهم وإنما نقول: لماذا تكون هذه المبالغة الخارجية في إضفاء الطابع الغيبي على حياة الأئمة.

ثم لماذا نعتمد على هذا الجانب اعتماداً كاملاً في إقناع الناس بمكانة الأئمة وجدارتهم؟

أليست سيرة الأئمة وتعاليمهم وحكمهم وتوجيهاتهم كفيلة بتعريف مكانتهم العظيمة؟

إن المعاجز والكرامات ليست هي الطريق الوحيد للإيمان

بالأئمة بل أن الإيمان بالأئمة عن طريق ملاحظة حياتهم ودراسة آثارهم هي أفضل درجة وارفع مستوى من الإيمان بالأئمة عن طريق المعاجز والكرامات...

نحو فهم صحيح لمواقف الأئمة

ثالثاً: أما السمة الثالثة من سمات التاريخ المزيف لحياة الأئمة عليهم السلام فهي: سوء التفسير والفهم لتصرفات الأئمة وتحركاتهم.. فالأئمة هم قادة الأمة، وحملة الرسالة وحماتها... ويجب أن تفسر كل تصرفاتهم، وتفهم كل تحركاتهم، على أساس موقعهم القيادي، وعلى ضوء مسؤوليتهم الرسالية...

بين أن البعض يحاول اختلاق المبررات العاطفية والشخصية لتفسير بعض مواقف الأئمة وتصرفاتهم.

فالإمام الحسن بن علي عليه السلام لماذا صالح معاوية بن أ[ي سفيان؟ يجيبون: بأن الإمام أراد حقن الدماء والحفاظ على النخبة الصالحة من أهل بيته!

فهل يمكن أن يكون هذا مبررا مقبولا بالنسبة لدور الإمام القيادي ومسؤوليته الرسالية، التي تفرض عليه أن يقيس كل حركاته وقراراته بمصلحة الأمة والرسالة،لا بأي مقياس آخر!

والإمام علي بن الحسين عليه السلام لماذا لازم البكاء والحزن على

أبيه الحسين عليه السلام طيلة أيان حياته بعد عاشوراء؟

إنهم يفسرون ذلك تفسيرا شخصيا عاطفيا محضا، ففظاعة المصيبة، وهول الحادثة فرضت على الإمام هذا السلوك المأسوي الكئيب!

لا إنه كان يستثير الناس ويذكرهم بفضائح السلطة الأموية التي حاولت التبريء من الجريمة وإلهاء الناس عن أحداثها!

وحينما ينقل لنا التاريخ بعض الكلمات التي يتظاهر فيها الأئمة بعدم رضاهم عن الثورات العلوية التي تفجرت في عصورهم.. يبادر البعض إلى الإقناع بهذه الكلمات ويستنتجون منها خطأ الثوار العلويين وموقف الأئمة السلبي تجاه المعارضة!

بل إن أحد العلماء المحققين الكبار اعتبر تلك المواقف الظاهرية من الأئمة حجة ودليلا على أن الأئمة يرفضون الثورة والعنف ويربون ويؤدبون شيعتهم على المسالمة والهدوء[1].

في حين أن التأمل في ظروف صدور هذه الكلمات من الأئمة، والدراسة المتكاملة لحياتهم توضح بجلاء: أن تلك الكلمات لم تكن لهدف تكتيكي تفرضه ظروف المراقبة

(١) عقائد الإمامية للمظفر.

والإرهاب من قبل السلطات والتي كانت تبحث عن أقل مستمسك لعلاقة الإمام مع حركة المعارضة لتتخذه ذريعة للفتك بالإمام والقضاء على مجالات تحركه.

لقد كان الأئمة في الواقع يقودون مسيرة الرفض والمعارضة ضد السلطات الظالمة والأوضاع الفاسدة... إلا أن الظروف فرضت عليهم أسلوبا معينا للعمل، وهو أسلوب التحرك والعمل من خلف الستار، وعن طريق تربية الكوادر الثورية ودفعها إلى مواجهة السلطات دون أن يظهر للإمام أي دور صريح أو تعثر السلطات على مستمسك تجاهه.

ولذلك تجد عصر الأئمة مليئا بالثورات الشعبية التي يتزعمها أولاد الأئمة وتلامذتهم وأتباعهم:

- ففي عهد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام: ظهرت حركة التوابين وتفجرت ثورة المختار الثقفي.
- وفي عهد الإمام الباقر عليه السلام: ثار أخوه زيد بن علي بن الحسين وبعد مقتله ثار ولده يحي بن زيد.
- وفي عهد الإمام الصادق عليه السلام: حدثت ثورة عبدالله بن معاوية بن عبدالملك بن جعفر بن أبي طالب، وبعده تفجرت ثورة محمد بن عبدالله ذي النفس الزكية من أحفاد الحسن بن علي بن أبي طالب، وفي نفس

الوقت ثار أخوه إبراهيم بن عبدالله.

- وفي عصر الإمام الكاظم عليه السلام حدثت ثورة الحسين بن علي شهيد الفخ، وثورة يحي وإدريس بن عبدالله.
- وفي عصر الإمام الرضا عليه السلام تفجرت ثورة محمد بن إبراهيم وأبي السرايا، ثم ثورة محمد الديباج بن جعفر الصادق، ثم ثورة علي بن محمد بن جعفر الصادق كما ثار إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم.
- وفي عصر الإمام محمد الجواد عليه السلام ظهرت ثورة عبد الرحمن بن احمد من أبناء عم الإمام الجواد، وثورة محمد بن القاسم من أحفاد الإمام علي أيضًا.

وهكذا كان عصر الأئمة مليئا بالثورات المضادة للظلم والجور والفساد.

والتاريخ وان كان لا ينقل لنا كل التفاصيل عن مدة علاقة الأئمة بهذه الثورات وارتباطهم بزعمائها الثائرين، ولكنه يحدثنا بإيجاز خاطف عن مدح الأئمة وثنائهم على أكثر زعماء الثورات، وتألم الأئمة لمصرعهم، بل ومشاركة الأئمة اقتصاديا وتحفيز أبنائهم للانخراط في صفوف الثورة.

وفي مطاردة السلطات واضطهادهم للأئمة بالسجن والقتل أكبر دليل على خطورة وجودهم على السلطات، وإلا فما

الـذي يضـر السـلطة مـن إمـام عابـد وزاهد؟

بالإضافـة إلـى أن الثائريـن كلهـم كانـوا مـن أسـرة الأئمـة أو تلاميذهـم وأتباعهـم[1].

لماذا التاريخ المزيف؟

والسـؤال الآن هم: لماذا لا تتوفر أو لا تنتشـر الصورة الحقيقية لحيـاة الأئمـة؟ ومـا هو سـبب هـذا النقـص والتشـويه فـي تاريخ الأئمـة الذي يتـداول على ألسـن الخطباء وكتب السـير والتاريخ؟

فـي الواقـع هنـاك عدة أسـباب: لعـدم توفـر التاريـخ الصحيح لحيـاة الأئمـة مـن أهمها:

أولاً: كانـوا يعملـون على نشـر المبـادئ الإسـلامية الصحيحة المناوئة لمسـيرة الحكـم ولسـلوك الحاكمين.

وبعبـارة أخـرى كانـوا يقـودون جبهـة المعارضـة والرفـض لذلـك الواقـع المنحـرف الـذي كانت تعيشـه الأمة فـي عهد تلك السـلطات. فهـم الذين يغـذّون الثـورات ومن بيوتهم ومدارسـهم تخـرج أكثـر الثائرين...

لذلـك فمـن الطبيعـي أن تحـاول السـلطات عزل الأئمـة ومنع أفكارهـم عـن جماهير الأمـة. وأن تضرب حول الأئمة وشـيعتهم

(١) راجع للمؤلف: أئمة أهل البيت رسالة وجهاد.

نطاقا حديديا من الإرهاب والكبت.

وبسبب هذا الحصار السياسي والإعلامي والفكري الذي فرضته السلطات على الأئمة، ضاع الكثير من تراثهم، وأهمل تاريخهم.

ثانياً: عصور التخلف التي عاشتها أمتنا طوال هذه الفترة، فقد انعكس هذا التخلف على ثقافة الأمة وطريقة قراءتها للتاريخ.

فكل جيل إنما يكتب التاريخ بمنظاره الخاص وحسب واقعه ورؤاه، ولأن الجيل السابق كان يعيش واقع التخلف والجمود وكانت رؤاه سلبية غير متفاعلة مع أحداث الحياة لذا حينما كتب تاريخ الأئمة انعكست رؤاه وواقعه على كتابته وتفسير أحداثه.

فلأنه جيل استسلم للخوف والجبن وآثر السكوت والجمود، فقد صار يبحث عن مبرر لموقف الانهزامي، فأخفى جانب النضال والجهاد والثورة في حياة الأئمة بينما ابرز وبشكل مضخم جانب المأساة والألم والاضطهاد في حياتهم، ليبرر بذلك واقعه وحياته الذليلة.

ولأنه جيل انعزل عن مسرح الحياة، واكتفى بالتفرج على الأحداث، دون أن يكون له دور في صناعتها، فقد فسر لنا

أحداث التاريخ تفسيراً قدريا غيبيا، لا دخل لتصرفات البشر فيه! فإرادة الله هي التي أسقطت الدولة الأموية لا نضال العلويين وثوراتهم!

ومشيئة الله أرادت للأئمة أن يصيبهم الاضطهاد والإرهاب لا دورهم الثوري واتجاههم المناوئ للسلطات!

وهكذا وصلنا تاريخ الأئمة بهذا الشكل الخاطئ، والذي يركز اهتمامه على مآسي الأئمة ومعاجزهم الخارقة فقط! أما دورهم السياسي وحياتهم الاجتماعية وآراؤهم العلمية فهذا ما لم يكن موضع الاهتمام[1].

أين الطريق؟

ولكن بعد أن اكتشفنا زيف التاريخ المتداول بين أيدينا عن حياة الأئمة فأين الطريق لمعرفة الوجه الحقيقي والصحيح لحياة الأئمة؟

في الواقع: إن على الخطباء والكتاب أن يتعبوا أنفسهم في البحث عن حياة الأئمة، ودراسة تاريخهم، ليقدموا لجماهير الأمة سيرة الأئمة كبرامج للحياة، ومشاعل للهداية وخطط للتحرك...

(١) المصدر السابق.

وأن لا يختاروا لأنفسهم الكسل والراحة فيكتفون باجترار الروايات المعروفة، وقضايا السيرة المتداولة..

فالخطيب مثلاً يتحمل مسؤولية كبرى أمام الله، إذا قصر في واجبه في البحث والتنقيب وبالتالي إعطاء التوجيه والرؤية الصحيحة للأمة...

وعلى الخطيب أن لا يراعي ويتملق لبعض الوجهاء والشيوخ المتخلفين ثقافيا والذين لا يرضيهم ابتعاد الخطيب عن إدارة اسطوانة السيرة التي عهدوها!

وإلا فسيطبق عليه ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام لخطيب مجلس يزيد: أيها الخطيب اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق).

وعلى الواعين من أبناء جماهير الأمة: أن يتلقفوا الدراسات الموضوعية والخطابات والكتابات الرسالية التي تعطي الصورة الصحيحة، والوجه الحقيقي لحية الأئمة.

وان يقرءوا بإمعان وتدير تراث الأئمة العظيم، وتعاليمهم الحكيمة، ليعرفوا من خلالها: ماذا يريد الأئمة وماذا يهدفون؟ وما هي خططهم وبرامجهم في الحياة؟ وعلى ضوئها يستطيعون فهم مواقف الأئمة وقضايا حياتهم.

ومن أروع الكتب وأفضلها في هذا المجال: كتابان يهمني أن أشجع كل مسلم واه لقراءتهما ودراستهما:

الأول: نهج البلاغة: ويضم مجموعة من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وقضاياه وكلماته الحكيمة.

وهو في الواقع: (نهج الحياة) ودراسته ضرورية لكل مسلم يريد التعرف على حقيقة الإسلام، وواقع حياة أئمة الإسلام.

ولكن: لأننا لا نسمع من نهج البلاغة إلا كلمات التزهيد، وخطب الوعظ والتحذير من الموت والآخرة، نسمعها من مجالس العزاء وفي فواتح الموتى لذلك ينظر أكثر شبابنا إلى نهج البلاغة ككتاب تشاؤمي يصلح لفواتح الموتى ومواعظ القراء.

أما الحقيقة فنهج البلاغة تراث عظيم، وثروة ضخمة تبرر أهميته في النقاط التالية:

- انه مصدر هام للكشف عن مفاهيم الإسلام وآرائه في جميع حقول الحياة، فمن معرفة الله ومختلف قضايا العقيدة إلى مبادئ الأخلاق إلى قوانين الحرب، إلى تعاليم إدارية وسياسية، إلى رؤى اجتماعية واقتصادية...
- انه مرآة صادقة تعكس بعض أحداث التاريخ الإسلامي الأول، فهو بمثابة مذكرات رجل صادق عاش الأحداث

وشـارك في صناعتها...

وهـو بعـد ذلـك ثـروة أدبيـة يفيـض بالبلاغـة والـذوق الرفيـع حتـى قيل عنه (انـه دون كلام الخالق وفـوق كلام المخلوقين)[1].

والمفضـل لشـبابنا الأعـزاء أن يبـدءوا بنهـج البلاغة مـن آخره حيـث الكلمـات الواضحة والجمـل القصيرة، التـي لا تحتاج إلى شـرح أو تفسير.

الثاني: تحف العقول عن آل الرسول

إنـه كتـاب رائع وثميـن جـداً، ألفه الشـيخ الثقة الجليـل الأقدم (أبـو محمد الحسـن بن علـي بن شـعبة الحراني) رحمـة الله عليه مـن أعلام القـرن الرابع.

يتضمـن هـذا الكتـاب نخبـة مـن وصايـا الرسـول والأئمة عليهم السلام وأقوالهـم القصيـرة والحكيمـة.. بالترتيـب والتسلسـل ابتـداء من الرسـول الأعظـم وانتهـاء بالإمـام المهـدي المنتظر..

وقـد أحسـن المؤلـف جـدا اختيـار تلـك الوصايـا والحكـم فجـزاه اللـه عـن الإسـلام والمسـلمين خيـر الجـزاء.

وأخيـرًا فـإن علـى جماهيـر الأمة: أن ترفـض التاريـخ المزيف وان تقاطـع الخطبـاء الذيـن يتاجـرون به فيسـاهمون فـي تكريس

(١) رؤى الحياة في نهج البلاغة للمؤلف.

تخلـف الأمـة وانحطاطها.

وان تلتـف حـول العلماء والخطبـاء والكتاب الرسـاليين الذين ينشـدون تقدم الأمـة، وخدمة الرسـالة، وتقويض ثقافـة التخلف، لتحـل محلها ثقافة الإسـلام الرسـالية الصحيحة.

وفقنـا اللـه جميعـا لمعرفة حقيقة تاريـخ الأئمة والاقتـداء بهم، انه ولـي التوفيق.

النضال على جبهة الثقافة والفكر

لقد دخلت الحركة الإسلامية في هذه الفترة مراحل جديدة ومتقدمة من الصراع والنضال ضد الطغاة وأسيادهم المستعمرين.

واستطاعت في بعض مناطق العالم الإسلامي أن تحقق مكاسب وانتصارات عسكرية وسياسية وإعلامية. ومع انشغال الحركة الإسلامية بهذه الاهتمامات الجهادية المتقدمة هل هناك ثمة داع للتركيز على الجانب الفكري والثقافي؟ أم يجب أن تعتبر الحركة نفسها متجاوزة لهذا الجانب منتهية منه للتفرغ وتصب كل اهتمامها على الجبهات الملتهبة في معركة التغيير والثورة كالجبهة العسكرية والسياسية الإعلامية؟

يبدو أن بعض فصائل الحركة الإسلامية يؤمن بهذا الرأي ويعتقد بأن المرحلة تقتضي تركيز الجهود في هذه المجالات

المتقدمة العسكرية والسياسية والإعلامية أما مجال الثقافة والفكر فقد أشبعته المرحلة الماضية فلنكتف بالرصيد المتوفر منه.

بل أن بعض المجاهدين يعتبر الانشغال بالثقافة والفكر في هذه الفترة نوعا من الفرار من الزحف والهروب من الجبهات الإمامية للمعركة.

بينما يبدو لي أن الأمر على العكس من ذلك تماما.. وذلك لأسباب عديدة من أهمها الأسباب التالية:

خط التراجع والانحراف

أولاً: يرافق هذا التقدم الذي حققته الحركة الإسلامية إقبال جماهيري واسع على الإسلام والتفاف كبير حول الحركة من قبل أبناء الأمة، ولكن هذا الإقبال يجب أن يعنى بخلفية ثقافية ومضمون فكري ليكون قابلاً للاستمرار والنمو والتوسع.. أما إذا بقي هذا الإقبال معتمداً على الاندفاع العاطفي وردود الفعل النفسية على الواقع المعاش.. فانه يكون مهدداً أما بالانسحاب والتقلص أو على الأقل بالوقوف عند مستوى وحد معين دون الارتفاع إلى مستوى متطلبات تطور الصراع.. وإما أن يكون مهدداً بالانحراف حينما تستغل الفئات المنحرفة فكريا هذا الفراغ وتبدأ نشاطا محموماً لبث سمومها وأضاليلها..

وأمامنا شاهد حي على هذا الأمر، وهو ما حدث في إيران

الثـورة، فقـد وفـرت الثـورة الإسـلامية للشـعب أجـواء الحريـة وأكـدت لديـه الثقـة بذاتـه ولكـن لكثـرة المشـاكل والمهـام التي أصبحـت ملقـاة علـى كاهـل قيـادات الثـورة فإنهـم لم يسـتطيعوا توفيـر الثقافة والفكـر الكافي لاحتواء كل أبناء هذا الشـعب الكبير الـذي يصـل عـدد نفوسـه إلـى ٣٦ مليـون نسـمة فـي بلـد واسـع مترامـي الأطـراف.. فكانـت الفرصـة ثمينـة للحـركات التحريفية المشـبوهة مثـل (مجاهـدي خلـق) الذين يطلـق عليهـم (منافقين خلـق) و(فدائيـن خلـق) والمنظمـات القوميـة ومـا شـابه حيـث اقتطعـت هـذه المنظمـات أجـزاء مـن أبنـاء الشـعب واسـتخدمته سـلاحا لعرقلـة مسـيرة الثـورة وتنفيـذ مخططـات الأعداء.

إذا كان ذلـك قد حـدث في بلد انتصرت فيه الحركة الإسـلامية وتربعـت علـى سـدة السـلطة والحكم فمـا بالك بوضع الشـعوب التـي لا تـزال تعيش مرحلة النضـال والمقاومة؟

إن خطـر الانحـراف والتحريـف فـي مسـيرة الجماهيـر وارد ومحتمـل مـا لـم يواجهه جهـاد فكـري وثقافـي يجعـل الجماهير علـى بصيـرة مـن أمرها.

الهجوم الثقافي المعادي

ثانيـاً: ضمـن الاسـتعدادات الرهيبـة التـي اتخذها الأعـداء في هـذه الفتـرة لمواجهـة قـوة الحركة الإسـلامية وخطر توسـعها هو

تكثيف الهجوم الفكري والثقافي على جماهير الأمة.. وتبدو مظاهر الهجوم المكثف في زيادة البرامج وساعات البث الإذاعية الموجهة نحو المناطق والشعوب الإسلامية.. وفي إصدار مجموعة جديدة من المجلات والجرائد المعبئة بالثقافة المشبوهة وان كان بعض هذه المجلات ترتدي برداء الإسلام وتحمل صبغة دينية.. كذلك انتشار موضة أفلام الفيديو التي غزت كل بيت. وهناك أيضًا سيل من الكتب الفكرية والثقافية الجديدة أو المعادة الطبع في مختلف الجوانب والمجالات وملاحظة سريعة لقوائم مطبوعات دور النشر في بعض البلدان العربية كالقاهرة وبيروت للعام المنصرم تثبت هذه الحقيقة.

وثمة اتجاه آخر خطير لمؤامرات العداء في هذا المجال هو دعم الحركات المشبوهة والتحريفية داخل صفوف المسلمين.. كالحركات الطائفية والتحريفية وكمثال على ذلك حركة (الأخوان الجمهوريون) في السودان والذين صعدوا نشاطهم فجأة وأصبحت كتبهم تجدد طبعاتها مرات في السنة الواحدة.

فهل يصح للحركة الإسلامية الواعية أن تقف مكتوفة الأيدي تتفرج على هذا الهجوم الكبير الواسع الذي يشنه العداء على الجبهة الثقافية؟ أم هل يجوز لها أن تترك الجماهير فريسة الثقافة المشبوهة والمنحرفة؟

منطقة الفراغ الثقافي

ثالثاً: مع تقدم مستوى الجهاد وانفتاح آفاق جديدة أمام الحركة الإسلامية للعمل والنشاط تصبح هناك قضايا جديدة ومشاكل مستحدثة وأسئلة مطروحة على الساحة لا بد من التصدي لها بالمعالجة ووضع الأجوبة والحلول.

رابعاً: وأيضًا فإن ما لدينا من فكر وثقافة يدور في غالبه حول الجوانب الثابتة من الإسلام كالعقائد والعبادات أو يكون على شكل أطروحات كلية وعامة.. ولكننا وقد اقتربنا من تطبيق الإسلام في مجال العمل للإسلام والعمل بالإسلام فإننا بحاجة ماسة إلى بحوث ودراسات تفصيلية محددة وواضحة.. وهذه منطقة فراغ خطيرة في الثقافة الإسلامية المطروحة على الساحة.

وفي هذا الصدد يقول العلامة المدرسي:

«وليس من الصحيح طرح النظريات العامة التي تسبح في فراغ كأنها كليات «أبو البقاء».

إذ أن طرح النظريات هكذا ومن دون تحويلها إلى برامج عملية لا بد أن يتم لواحد من عاملين:

فأما لأن النظرية ذاتها غير واقعية وتشبه نظريات (المدينة

الفاضلـة) للفارابـي فـي أنها تصلـح أن تكون أمنيـات حلوة ولكن لا تصلـح أن تصبـح خططا للعمـل وأنظمـة للتطبيق.

وأمـا لأن صاحـب تلـك النظريـات لا يعـرف كيـف يجـب أن تنفـذ علـى متغيـرات الحياة.

ويبـدو أن أكثـر الكتابـات الدينيـة العامـة هـي من النـوع الثاني وإذا كان صاحـب النظريـة والمفـروض فيـه أن يكـون اختصاصيا فـي أمرهـا لا يعـرف طريقـة تنفيذهـا إذا فكيـف ينتظـر مـن الناس العادييـن أن يعرفوهـا ولكـن السـؤال: هـل نحـن طورنا ـ حسـب مسـؤوليتنا الدينيـة ـ الأحـكام وفـق متغيـرات العصر؟

أم تمسـكنا بالجانـب الثابت من الشـريعة وضخمناهـا إلى ابعد حـد ممكـن وأعدنـا صياغته من جيـل إلى جيـل.. أمـا المتغيرات فتركناها لاجتهـادات الناس؟

مـا هـو الاقتصـاد الإسـلامي؟ وكيـف ينبغـي أن يتـم توزيـع الثـروة؟ كيـف يجب أن ننمـي ثروتنا القومية؟ ما هـي القوانين التي تنظـم علاقـة العامل بـرب العمل؟ وهل يجـب أن يشـارك العمال فـي الأربـاح؟ وكـم ولماذا؟ وهـل للعمـال ضمـان اجتماعي؟

ومـا هـو حكـم الديـن فـي الأراضـي فهـل يجـوز تقسـيمها علـى الفلاحيـن إذا اقتضـت الضـرورة القصوى لاسـتقلال بلادنا الاقتصـادي. ومتـى تكـون حالـة الضـرورة. وهـل نحـن الآن في

تلـك الحالة؟

مـا هي أنظمـة الأمـر بالمعـروف والنهي عـن المنكـر.. ما هي الوسـائل السـليمة التي يجـب إتباعها اليوم.. هـل يجوز الإصلاح السياسـي المسـلح.. أم يجـب أن يكـون مجرد عمـل صامت.. أم عصيـان مدني؟

كيف يجـب أن يبنى المجتمع.. وكيف نوجـد فيه الديناميكية.. وكيـف نجعلـه مجتمعـا متقدمـا.. كيـف نحافـظ على القيـم التي تسـود عليه؟

مـا هـي تفاصيـل البرنامـج الأخلاقـي التـي يجـب أن يتقيـد بـه الإنسـان المؤمـن.. هل هي المرونـة أو التصلب ومتـى المرونة ومتى التصلـب وهـل هـي الانعـزال أم الانفتـاح.. ومتـى هذا ومتـى ذاك؟

إن مئـات الأسـئلة العريضـة حائـرة اليـوم وتتطلـب أجوبـة صحيحـة وواقعيـة وواضحـة. فأنـى لنـا ذلـك؟

لـو لـم تصبـح القضايـا اليوميـة الملحـة هي محـور الدراسـة. ولـم نعالجهـا بشـجاعة وحكمـة . والتضحيـة بكثيـر مـن التقاليد التـي أصبحـت عندنـا دينـا ومعنا مقدسـات. فـإن عقابنا سـيكون عسـيرا أمـام اللـه والتاريخ».

المثقفون والجماهير

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ لَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَ لَا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلَّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا»[1].

لكل عمل أو وظيفة يمارسها الإنسان في حياته المادية والاجتماعية آفات وانعكاسات على نفسه وسلوكه فالقصاب الذي يمارس عمل ذبح الحيوانات وسلخها قد تتصلب مشاعره وعواطفه.. والطبيب والممرض بطبيعة معايشتهما الدائمة لحالات الضعف البشري من المرضى والمصابين يقل تأثرهما وعطفهما على تلك الحالات مقارنة بغيرهما.

إذا صح هذا الكلام فالسؤال المطروح أمامنا الآن هو: ما هي الانعكاسات التي يتركها التوجه الفكري والثقافي على

(١) دعاء مكارم الأخلاق، الصحيفة السجادية.

شـخصية الإنسـان المفكـر والمثقـف؟

مشكلة المثقفين

ولكـن قبـل الإجابة علـى هذا السـؤال هنـاك تسـاؤل آخر هو: لمـاذا نطرح هذا السـؤال؟

والجـواب: أن هنـاك هـو واضحـة ومسـافة واسـعة تفصل بين المفكريـن والمثقفيـن فـي بلادنـا وبيـن الجماهيـر المسـتضعفة المحرومـة.

وإذا كان لهـذا الانفصـال ما يبرره بالنسـبة للمثقفيـن المغتربين الذين تبـرءوا من انتمائهم لأمتهم، وانبهـروا بتقدم الأمم الأخرى، فتخلوا عن شـخصياتهم وتقمصوا شـخصيات الآخرين..

وبـدل أن يأخـذوا بأيـدي شـعوبهم للالتحاق بركـب الحضارة والتقـدم انفصلـوا عـن شـعوبهم والتحقـوا بالآخريـن كأذيـال ومتطفليـن.

إذا كان هـذا هـو مبـرر انفصـال أولئـك المثقفيـن المغتربيـن فهـل ثمـة ما يبـرر ابتعاد وانعـزال المثقفيـن الذيـن يحافظون على انتمائهـم ومبادئهـم الدينيـة الحقة؟

عـن جماهيـر أمتنـا في هـذه المرحلـة تتهيـأ لخـوض المعركة الحاسـمة ضد التخلف والاسـتعمار فلا بد وأن يلعـب المفكرون

والمثقفون دورهم الخطير في توجيه جماهير الأمة ومساعدتها على مواجهة المشاكل والعقبات..

بيد أن هناك مشكلة ذاتية تكمن في طبيعة الانعكاسات التي قد يفرزها توجه الإنسان الفكري والثقافي في شخصيته..

فكما أن للتوجهات والوظائف الأخرى التي يمارسها الإنسان تأثيرات معينة على نفسيته وسلوكه فكذلك يبدو أن للثقافة والفكر انعكاس معين على شخصية الإنسان المفكر..

وحديثنا الآن هو عن واحد من أهم تلك التأثيرات والانعكاسات التي قد تنشأ وتحصل في شخصية الإنسان المتخصص في مجال الثقافة والفكر.. ذلك هو مشكلة الاستعلاء على عامة الناس..

مظاهر الاستعلاء

وحينما نقول أن حالة الاستعلاء على الناس انعكاس طبيعي لتوجه الإنسان العلمي والثقافي فإننا لا نعني بذلك حتمية هذه السلبية في حياة العالم والمثقف ولزوم وجودها.. وإنما نقصد وجود الأرضية المناسبة والأجواء المهيأة في نفسية المثقف لنمو هذه الحالة والتي يمكن التغلب عليها وتجاوزها بشيء من الانتباه والتصميم لدى الإنسان المثقف.

وللاستعلاء مظاهر متنوعة في شخصيات المثقفين، من أبرزها المظاهر التالية:

أولاً: الإحساس الدائم بالعلو والارتفاع

الإنسان الذي يتفرغ للعلم، ويتوجه للثقافة والفكر، من الطبيعي أن يمتلك مستوى ارفع من الآخرين في هذا المجال، فيكون فهمه وإدراكه واطلاعه أكثر من الأفراد العاديين..

ولكن ذلك لا يعني بأن يسمح العالم أو المثقف لنفسه بأن يعيش إحساسا دائما بالعلو والارتفاع على سائر الناس وأن يتجاهل قيمة الآخرين ويستهين بهم لا لشيء إلا لأنه متقدم عليهم في الثقافة والعلم! بل عليه أن يجعل نصب عينيه الحقائق التالية:

أولاً: صحيح أن العلم والثقافة قيمة كبيرة في المجتمع ولكنها ليست القيمة الوحيدة التي تعطي للإنسان العلو والفضل.. فهناك قيمة الإيمان والقرب من الله سبحانه تعالى..

وهناك قيمة العمل الصالح وخدمة المجتمع.. وهناك قيمة الفضائل النفسية ومكارم الأخلاق.. وليس من الصحيح أن يستهين المثقف والعالم بقيمة ومكانة سائر أفراد المجتمع وخاصة المتمسكين بأهداب القيم الأخرى الفاضلة.

وقد تكون درجة التزام الآخرين بالقيم العليا التي سلكوا طريقها أكثر من درجة التزامه هو بقيمة العلم والثقافة فأنت عالم مثلا والآخر عامل، ولكن من العلم والعمل قيمة يرتفع بها صاحبها، ولكن إذا كان اهتمام العامل وإخلاصه في عمله أعلى درجة من مستوى اهتمامك وإخلاصك في علمك وثقافتك، فإن رتبة ذلك العامل في الفضل أكبر لدى العقل والعرف..

ثانياً: إن أفراد المجتمع يمتلكون الكثير من التجارب والخبرات الحياتية المهمة.. ولا غنى للعالم المثقف عن الاستفادة من تجارب الناس وخبراتهم.. وإذا ما تلاقح العلم والفكر مع تجارب الحياة وخبراتها المتوارثة والصحيحة فإن الحصيلة ستكون معرفة ناضحة وآراء سديدة.

وكم يستفيد الإنسان المفكر حينما يعيش في أوساط الناس محاولاً الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم ومحفوظاتهم من قصص التاريخ وأحداث الماضي.

ثالثاً: هذا الإحساس الدائم بالتفوق على الآخرين قد يتضخم ويتحول إلى عقدة غرور أو تكبر.. والغرور والتكبر ينشآن في نفس الإنسان الذي يمتلك تفوقا في مجال ما ويتضخم لديه الإحساس بذلك التفوق، من هنا نجد الإمام

زين العابدين عليه السلام في دعائه الرائع (مكارم الأخلاق) يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يقرن أي تفوق أو تقدم يناله بانخفاض في درجة إحساسه النفسي بذلك التفوق وان تتعادل نسبة التفوق مع نسبة انخفاض الإحساس به داخل النفس. تأملوا كلامه عليه السلام: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ لَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَ لَا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلَّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا».

يقول العلامة المجلسي رحمة الله عليه:

«ثم أعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، ومجامع ذلك يرجع إلى كمال ديني ودنيوي.. والديني هو العلم والعمل، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة.

الأول: العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: آفة العلم الخيلاء فهو يتعزز بعز العلم، ويستعظم نفسه، ويستحقر الناس، وينظر إليهم نظره إلى البهائم، ويتوقع منهم الإكرام والابتداء بالسلام، ويستخدمهم ولا يعتني بشأنهم»[1].

وهناك مجموعة كبيرة من الأحاديث والنصوص الشرعية

(١) البحار، ج ٧٣، ص١٩٦.

تحـذر الإنسـان حتـى عن مجـرد الشـعور والإحسـاس بالأفضلية علـى الآخرين.

فعـن الإمام جعفر الصـادق عليه السلام: ومن ذهب (أي مـن اعتقد) أن لـه علـى الآخر فضـلا فهو مـن المسـتكبرين، فقلت: إنمـا يرى أن لـه عليـه فضـلا بالعافيـة إذا رآه مرتكبـا للمعاصي، فقـال: هيهات هيهـات فلعلـه أن يكـون غفر لـه ما أتـى وأنت موقوف محاسـب، أمـا تلوت قصة سـحرة موسـى عليه السلام؟

ثانيا: الرغبة عن الناس

للعلـم لـذة قويـة الجـذب، وفـي الثقافـة إغـراء كبيـر وإذا مـا استسـاغ إنسـان لذة العلم، أو اسـتولى إغـراء الثقافـة والفكر على قلبـه.. فانـه ينصـرف نحـو العلـم والثقافـة انصرافـا كاملا.

ويصبـح الاجتمـاع مـع النـاس والالتقـاء بهـم نوع مـن إضاعة الوقت!

ولـذا تكـون قراءة كتـاب أو حضـور درس أو كتابـة موضوع أو التحقيـق فـي مسـالة علميـة أو فكريـة أفضـل وأولـى عند عشـاق العلـم وهـواة الثقافـة والفكر مـن الجلوس مع النـاس أو الحضور فـي تجمعاتهـم، وصـرف الوقت فـي التحـدث إليهم..

وهذا أحدهم يعبر عن مدى تعلقه بالعلم فيقول:

سـهري بتحقيق العلوم ألذ لي من وصـل غانيـة بحبـل عناق
وتلـذذي طربًـا بحـل عويصة أشهى وأحلى من مدامة ساقي

ولكـن هؤلاء تفوتهـم قضية أساسـية مهمة وهـي: هدفية العلم والثقافـة والمسـؤولية المترتبـة عليهمـا، فلماذا العلـم والثقافة في منطق الإسـلام؟

هل العلم للعلم والثقافة للثقافة والفكر للفكر؟

كلا ففـي منطق الإسـلام يكون العلـم للعمل والتعليـم والثقافة للصلاح والتوجيه.

يقـول تعالى: ﴿فَلَـوْلاَ نَفَرَ مِـن كُلِّ فِرْقَـةٍ مِّنْهُـمْ طَآئِفَـةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِـي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُـمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُـمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

إذن فالتفقـه فـي الديـن هـو مـن أجـل إنـذار الآخريـن وتوجيههـم. ويقـول الإمـام علـي عليه السلام: «إن اللـه لـم يأخـذ علـى الجهـال عهـدا بطلـب العلـم حتى أخـذ علـى العلماء عهـدا ببذل العلـم للجهـال»[2].

وعـن رسـول اللـه صلى الله عليه وآله: «إذا ظهـرت البدعـة فـي أمتـي فليظهر العالـم علمـه فإن لـم يفعـل فعليـه لعنة اللـه»[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٦٧.
(٣) المصدر نفسه.

وحينما يدرك المثقف المسؤولية الخطيرة التي يتحملها وأنها مسؤولية دينية يطالبه الله يوم القيامة إذا هو قصر في أدائها.. حينئذ لا يسمح لنفسه بالانصراف عن الناس والرغبة عن الاجتماع بهم بل يخصص جزءا مناسبا من وقته واهتمامه للقيام بدور توجيه الناس وتحمل مسؤولية بذل الوعي لهم.

ثالثًا: التعامل مع طبقة خاصة

في المجتمع طبقات مختلفة من حيث المستوى الفكري، أو من حيث العمر ومن حيث الأدوار والأعمال.. والهداية والوعي حق مشروع لكل فرد من أفراد طبقات المجتمع.

وحينما لا يتوفر الوعي والتوجيه لأي طبقة من الطبقات في المجتمع أقسام التصنيف فإن ذلك يشكل ثغرة خطيرة في واقع المجتمع يمكن أن ينفذ منها كل شر وفساد..

ولذلك يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر رضوان الله عليه: «واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلا بِبَعْضٍ ولا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ ومِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ ومِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ ومِنْهَا عُمَّالُ الإنْصَافِ والرِّفْقِ ومِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ والْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ومُسْلِمَةِ النَّاسِ ومِنْهَا التُّجَّارُ وأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ وَ مِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ والْمَسْكَنَةِ وكُلٌّ قَدْ سَمَّى

اللَّـهُ لَهُ سَـهْمَهُ ووَضَعَ عَلَـى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِـي كِتَابِهِ أَوْ سُـنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ عَهْـداً مِنْـهُ عِنْدَنَـا مَحْفُوظاً»[1].

فمثـلا: إذا تجاهلنـا الآبـاء، وركزنـا جهودنا على توعيـة الأبناء فقـط، فـإن الآبـاء الذيـن لـم نوصـل إليهـم الوعـي والتوجيـه سيشـكلون عقبـة كأداء فـي طريـق التـزام وتحـرك أبنائهـم..

ومثـال آخر أيضًا: لـو كثفنا جهودنـا في التوعيـة والتوجيه على الطـلاب والجامعييـن وتركنـا الطبقـة العاملـة فإنهـم سـيصبحون فريسـة للأفكار اليسـارية المنحرفة.

لكـي نواجـه الواقـع المتخلـف ونسـتطيع التصـدي لقـوى الظلـم والطغيـان فإننـا بحاجـة إلـى تحريـك كل طاقات الشـعب وقدراتـه.. والفئـة التـي نبخـل عليها بالوعـي والتوجيه هـل ننتظر منهـا الاشـتراك معنـا فـي المعركـة أو الصـراع؟

بالطبع : كلا.

فجهلهـا إن لـم يجعلهـا تتخـذ موقفـا مضـادا فإنهـا علـى الأقـل سـتتخذ موقفًا سـلبيًا محايدًا، وبذلك نخسـر جزءًا من قوتنا الشعبية، كان يمكـن أن تسـهم معنا فـي معركة التحـرر والاسـتقلال والتقدم.

انطلاقـا من هـذه الحقائـق لا يصـح للمثقف الملتـزم والمفكر

(١) نهج البلاغة من عهد الامام لمالك الأشتر رسالة ٥٣.

المسؤول أن يجعل دائرة علاقاته وتأثيره محدودة في طبقة معينة من الناس ودون الاستعداد للانفتاح والتوجيه لسائر الفئات والطبقات.

وأمامنا الآن تجربة تاريخية حية، أدهشت العالم أو حيرت مفكريه وسياسيه.. إنها تجربة الثورة الإسلامية الظافرة في إيران.. هذه الثورة الشعبية التي شاركت فيها كل فئات الشعب وطبقاته.

فلم تكن انقلابًا عسكريًا يصنعه العسكريون.. ولا حركة سياسية قام بها رجال السياسة.. ولا انتفاضة محدودة أنجزتها طبقة خاصة من الشعب.. كانت حركة شعبية وثورة جماهيرية بكل ما للكلمة من معنى.

وقد شاهد الناس من على شاشات التلفزيون في مختلف أنحاء العالم رجل الدين الطاعن في السن إلى جانب العامل الكادح إلى جانب الطالب الجامعي إلى جانب الفلاح القروي إلى جانب المرأة التي تحمل طفلها.. كلهم كانوا جنبا إلى جنب يهتفون بسقوط الطاغوت وينادون بقيام حكومة الحرية والاستقلال.. الحكومة الإسلامية وتحقق لهم ما أرادوا بعون الله وتوفيقه.

وما كان ذلك ليحدث في إيران لولا انفتاح رجال الفكر

الإسلامي على جميع طبقات الشعب.. ولولا وصول الوعي والتوجيه إلى كل المستويان والفئات.

ولنتأمل الأحاديث والنصوص التالية لنرى كيف كان أئمتنا وقادتنا يتعاملون مع جميع الناس بمختلف مستوياتهم، ويعيشون في أوساطهم.

عن عبدالله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ، قال: كنت مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في سفرة إلى خراسان، فدعا يوماً بمادة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم فقلت: جعلت فداك: لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: «إن الرب ـ تبارك وتعالى ـ واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزاء بالأعمال».

في الطريق ومعه جماعة من أصحابه مر الإمام الرضا عليه السلام على رجل من أهل السواد (أي الزراعة) ذميم المنظر فتوقف الإمام وسلم عليه ونزل عنده وحادثه ثم عرض عليه استعداده لقضاء حوائجه.

الإمام الحسن بن علي عليه السلام يمشي في طريقه فيرى مجموعة من المساكين يفترشون الأرض ويأكلون كسرا من الخبز اليابس.. فيسلم عليهم فيدعونه للمشاركة في الطعام. ويستجيب الإمام لدعوتهم ويأكل معهم مما يأكلون ثم

يدعوهم إلى داره قائلاً: أجبت دعوتكم فأجيبوا دعوتي.

وأخيرًا: فإن المثقف حينما يعيش في وسط قريب من مستواه، ويستقطب أفرادًا متعلمين وشبابًا منفتحين فلا فخر كبير له في ذلك، لأن الأجواء تساعده على التأثير في الوسط الذي اختاره.

ولكن لنتنافس في استقطاب سائر فئات المجتمع ممن تختلف أعمارهم ومستوياتهم وأعمالهم من أعمارنا ومستوياتنا وأعمالنا.

لنتحرك باتجاه توعية الفلاحين والعمال وكبار السن كما نتحرك في صفوف الطلبة والجامعيين.

رابعاً: التحدث في مستوى معين

الناس تختلف مستوياتهم الفكرية، كما يتفاوت مدى استعداداتهم النفسية لتقبل ما يطرح عليهم من قضايا وأفكار.

بيد أن بعض المثقفين يتجاهلون هذا الاختلاف والتفاوت فيصرون على التحدث مع الناس العاديين لمستوى فكري لا يستوعبونه، ويطرحون لهم قضايا قد لا يشعرون بأهميتها فلا يتفاعلون معها.

والنتيجة ستكون يأس هذا المثقف من التأثير في الناس،

ونفـور النـاس وابتعادهـم عنه.

بينمـا المفـروض مراعـاة مسـتويات النـاس وتقريـب الأفـكار إلـى أذهانهـم وتبسـيطها والانطـلاق معهـم مـن حيـث يفهمـون ويدركـون للارتفـاع بهـم إلـى مسـتوى أعلـى..

فالمثقـف الـذي يخاطـب الفلاحيـن مثـلًا بلغة علميـة فصحى مسـتخدمًاالاصطلاحات الفكريـة التـي لـم تطـرق أسـماعهم مـن قبـل فيتحـدث لهـم عـن التكنولوجيـات والنظريـة الدارونية والبروليتاريـا والمافيـا ومـا شـابه فماذا سـيفهم أولئـك الفلاحون البسـطاء مـن حديثه؟

ورحـم اللـه الشـيخ محمـد جـواد مغنيـة الـذي قـال سـاخراً مـن هـؤلاء المسـتخدمين للاصطلاحـات العصريـة أمـام النـاس العادييـن:

أفتنكـــر العلـــم الغزيـــر وهـــذه

كلماتـــه تتلـــى عليـــك مـــرارا

(مكروب) مكرسـكوب ثم (سبنسـر)

(بنجـور) (مسـيو) نقطـف الازهـارا

قـد اضحـك الثكلـى الكئيبـة نملـة

أمســـت تحـــاول أن تجـــر قطـــارا

وكم كان الفرق كبيرًا والبون شاسعًا بين مستوى تفكير الأنبياء المبتعثين من قبل الله ومستوى أقوامهم الجاهلين الخاضعين للأصنام والأوثان؟

ولكن الأنبياء ما كانوا يتحدثون للناس حسب مستواهم كأنبياء بل كانوا يتكلمون مع الناس باللغة التي يفهمها الناس ويستوعبونها.

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[1] وهذا نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام عندما أراد أن يثبت لقومه زيف أصنامهم وعبادتهم ويؤكد لهم وجود الله تعالى ووحدانيته.. بم يستعرض أمامهم الأدلة الفلسفية ولا الكلامية وإنما خاطبهم بما يفهمونه ويستوعبون وبطريقة مسرحية لتؤثر في نفوسهم.. يقول تعالى مسجلًا لنا ذلك المشهد:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وهناك حديث مشهور عن النبي محمد ﷺ يقول: «إنا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس بقدر عقولهم. أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرنا بإقامة الفرائض»[2].

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم مما يفكرون»[3].

وفي حديث آخر: «ما أحد يحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان ذلك فتنة على بعضهم»[4].

هذا من ناحية مراعاة مستوى الفهم.. ومن جهة أخرى لا بد من مراعاة مستوى التقبل والاستعداد النفسي.. فكونك أنت ثائر متحمس متحسس للأوضاع السيئة مندفع لتغييرها لا يعني أن الآخرين يعيشون معك نفس الدرجة من التحسس والاندفاع.. وإذا ما طلبت منهم القفز مرة واحدة إلى مستوى اندفاعك وتضحيتك فلن تجد منهم سوى الإعراض والنفور، وستحصد أنت ثمار اليأس والتبرم بمواقف الناس.

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٦ ـ ٧٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٦٩.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.

إن الناس العاديين قد لا يعيشون اهتمامات سياسية وحينما تكون لغة المثقف منذ البداية لغة سياسية بحتة فانه لا ينجح في استقطاب الناس والتأثير فيهم.

وان قسمًا من الناس لم تتهيأ في نفوسهم أرضية الثورة والفداء وإذا ما خوطبوا بلهجة ثورية حادة فسوف بن يكون نصيب المتحدث منهم أكثر من الاتهام بالطيش والتهور.

والمطلوب من المثقفين الرساليين والثوريين أن يتفهموا ظروف الناس ومستوياتهم.

مرة ذهب أحد الخطباء الثوريين إلى منطقة وخطب في أهلها بضع ليال ثم عاد متشائمًا منزعجًا لأن أهل تلك المنطقة رجعيون وجبناء على حد تعبيره.. ولكن الخطأ لا يكمن في أهل المنطقة المستضعفين الذين يعانون من وطأة قرون التخلف وأوضاع الجهل وضغط الأفكار السلبية القشرية.

إنما الخطأ يكمن في أسلوب ذلك الخطيب الذي كان يتوقع منهم أن يصلوا إلى مستوى قناعاته الثورية واندفاعه وحماسه لأنه قد خطب فيهم بضع ليال، وطرح عليهم قضايا سياسية وثورية لم تكن نفوسهم مهيأة لها ولا مستعدة لتقبلها!!

مع ملاحظة أننا لا نطلب من المثقف الهبوط إلى مستوى الناس العاديين لكي يذوب في اهتماماتهم البسيطة وإنما

ليكـون أقـدر علـى الارتفـاع بهـم إلـى مسـتواه.

وكلمة أخيرة:

إن جماهيرنـا اليـوم لا تحتـاج لشـيء ملـح كحاجتهـا للوعـي الصحيـح والثقافـة السـليمة.. لتتسـلح بذلـك فـي معركتهـا ضـد التخلـف، وتوفيـر سـلاح المعركـة للجماهيـر.

فليبـادر المثقفـون إلـى الانخـراط فـي صفـوف الجماهيـر كل الجماهيـر.. ولينقـذوا النـاس مـن الأفـكار القشـرية والرجعيـة وليحـذروا النـاس مـن خـدع الاسـتعمار وأضاليـل الطغـاة.

ونحـن واثقـون مـن قـدرة جماهيرنـا المسـلمة علـى انتـزاع النصـر مـن الأعـداء الطغـاة إن اللـه ينصـر مـن يشـاء وهـو العزيز الرحيـم.

المحتويات

مقدمة الناشر.. .. ..٥
لماذا التخلف؟ ٧
الثقافة المتخلفة سبب الانحطاط ١٥
الصراع مع الثقافة المتخلفة ٢٧
نحو وعي سياسي ٤١
فلنحطم الأغلال ٦٥
ما هي تلك الأغلال؟ ٧٣
الأغلال النفسية ٨٧
الأغلال الاجتماعية.. .. .. ٨٩
حياة الأئمة والتاريخ المزيف ٩٣
النضال على جبهة الثقافة والفكر ١١٩
المثقفون والجماهير ١٢٧

عنوان المؤلف

المملكة العربية السعودية

ص.ب: ١٣٢٢ القطيف ٣١٩١١

هاتف: ٠١٣٨٥٥٥٢١٠ ٩٦٦+

فاكس: ٠١٣٨٥١٢٦٠٠ ٩٦٦+

الموقع على الإنترنت: www.saffar.org

البريد الإلكتروني: office@saffar.org